الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُّنّة بفهم سلَف الأمّة

٨

رسالةٌ إسلاميّةٌ منهجيّةٌ جامعةٌ

تَصدرُ مُنْتَصفَ كُلِّ شهرٍ هجريّ

(وفي كلِّ شهرين مرّةً مؤقّتاً)

العدد الثامن : ١٥ جمادى الآخر ١٤١٤هـ

مسائل وأجوبتها : للعلّامة المحدِّث الفقيه الألباني .
نظرة فاحصة في البنوك الإسلامية : محمد شقرة .
مظاهر شركية : عبدالعظيم بن بدوي .
مفاهيم يجب أن تُصحح : د. محمد الخميِّس .
بين مجلة المجتمع والعلامة الألباني : سعود العنزي .
نحو النفسية المستسلمة لله : محمد عيد العباسي .
مصائبنا .. مَن وَراءها ؟ : عدنان العرعور .

... بالإضافة إلى عدد من الأبواب الثابتة والمواضيع العلمية الأخرى ...

الأصالة

عَودةٌ إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأمَّة

رسـالـةٌ إسلامـيَّـةٌ مَنهَجِيَّـةٌ جامِعَـةٌ

العدد الثامن ـ السنة الثانية

١٥ جُمادى الآخر ١٤١٤ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

جمعية النور والايمان الخيرية الاسلامية
علم وخبر ١٣٠/أد
ص.ب : ١٣/٦٠٠٦ شوران
بيروت - لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا، مَن يَهدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أَنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأَنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأَرحام إنَّ اللّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء:١] .

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] .

أمّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النّار .

المحتوى

- **فاتحة القول : لا سلام إلَّا بالإسلام .**

التحرير ٥

- **تأمُّلات قرآنيَّة : ﴿ فلا تُزَكُّوا أنفسَكم ﴾ .**

محمد موسى نصر ٨

- **الكلم الطيب : الفتنُ وعواملُ التَّغيير .**

مشهور بن حسن ١١

- **مباحث عقيديَّة : مظاهر شِركيَّة : (١)**

عبدالعظيم بن بدوي ١٤

- **السلوك وتزكية النفوس : نحو النفسيَّة المستسلمة للَّه : (٢)**

محمد عيد العبَّاسي ١٨

- **كلمات في الدعوة والمنهاج : المحنة المحمودة .**

علي بن حسن ٢٣

- **تصفية وتربية : مصائبُنا .. مَنْ وَراءَها ؟! (٢)**

عدنان العرعور ٢٧

- مفاهيم يجب أن تُصحح : التطيُّر والتَّشاؤُم .

د. محمد عبدالرَّحمن الخَميّس ٣٤

- في السياسة الشرعيَّة : كلُّكم راعٍ .

سليم بن عيد الهلالي ٣٩

- اقتصاد إِسلامي : نظرة فاحصة في البنوك الإِسلاميَّة .

محمد شقرة ٤٢

- ردود وتنبيهات : بين مجلَّة المجتمع والعلَّامة الألباني .

سعود بن ملّوح العنزي ٥٣

- مصطَلح وبيان : الثقافة ... والغزو الثقافي : (٢)

د. مروان القيسي ٥٧

- وفاء ورثاء : إِلى مواكب الصَّادقين : (٢)

أُم محمد الفاتح ٦٣

- مسائل وأَجوبتها : المسائل اللبنانيَّة : (١)

العلَّامة محمد ناصرالدين الأَلباني ٧٠

- أحوال العالم الإِسلامي .

التحرير ٧٩

- القراء ... منهم وإليهم .

التحرير ٨٢

- مسك الختام : وصيَّة رسول اللَّه ﷺ في طُلَّاب العلم .

التحرير ٨٦

لا سلام إلّا بالإسلامِ

التحرير

ظلَّ العربُ والمسلمونَ - ومنذُ نحوِ خمسةِ عُقودٍ يَعُدّونَ - إليهودَ عدوَّهم الأوّلَ اللدودَ ، الّذي لا يُمكنُ الجلوسُ إليه أو مُفاوضتُه أو إبرامُ عقدِ صلحٍ معه ؛ لأنَّه قتلَ الأبرياءَ ، ويتمَّ الأطفالَ ، وانتهكَ الأعراضَ ، ونهبَ الأموالَ ، وشرَّدَ الشيوخَ ، واغتصبَ الأرضَ ، ودنَّسَ المُقدَّساتِ ، وعاثَ في أرضِ فلسطينَ الفسادَ ، بل تعدى سائرَ الأمصارِ حتَّى طالت يده النجسةُ المُلوَّثةُ بالدماءِ تونسَ الخضراءَ ، فاغتالَ أكابرَ القياداتِ الفلسطينيّة ، وهدَّدَ وتوعَّدَ الآخرينَ .

وقد لَقَّنَنا من بأيديهم أَزِمّةُ الأُمورِ - منذُ نُعومةِ أظفارنا - أنَّ دولةَ يهود خنجرٌ مسمومٌ في قُلوبِنا ، وأنَّ الأجيالَ القادمةَ ستأخذُ بثأرِنا من يهود ، وأنَّ مصيرَهم إمَّا البحر أو النهر ، وأَنَّ أسماكَ البحرِ الجائعةَ مُتعطشةٌ للحومِ اليهود أعداءِ الحضاراتِ وبني الإنسانِ ، وليسَ فقط الإسلام !!

وظلَّت هذهِ الأَمانيُّ والأحلامُ قائمةً حتّى كانَ صلحُ كامب ديفيد ، وكانَ الساداتُ هو الضحيةَ الّذي تَحمّلَ الصدمةَ الأُولى ، فاتُّهم بالخيانةِ وقُوطِعَ هو ودولتُهُ ، ولم يَكن جريئاً في كشفِ اللُّعبةِ ، أو بيان أنَّ المسألةَ مسألةُ وقتٍ فَحَسْبُ ، وأنَّ الّذينَ

رَموه بالخيانةِ بالأمسِ سيترحّمونَ على (مجدِهِ) الغابر بعدَ عدّة سنينَ ، بل وسيفعلونَ أسوأَ ممّا فعلَ ، وأنَّ خيانةَ الساداتِ بالأمسِ ستُسمَّى اليومَ بغيرِ اسمِها « معركة السلامِ » .

ومهَّدَ لهذا الواقعِ الّذي نَعيشُه اليومَ حربُ الخليجِ ، وما تَبِعها مِن (نتائجَ) عالميّةٍ ، وعربيّةٍ ، وإسلاميّةٍ !! فكانَ ولا بُدَّ - والحالةُ هذه - من الصلحِ والمُفاوضاتِ ؛ لأنَّه لا قِبَلَ للأُمةِ بجالوتَ وجنودِهِ !!

وعُقدَ مؤتمر داكار (الإسلاميّ) ليَشْطِبَ (حتّى) اسمَ الجهاد - والعياذُ باللّهِ - مع أنَّه - في حقيقتِهِ - ماضٍ إلى قيامِ الساعةِ ، ثمَّ تَبِعَ ذلكَ أيامٌ نَحساتٌ ذلَّ فيها العربُ أشدَّ ما يَكونُ ، وتفرَّقوا أيادِيَ سبأ ، وألقوا بأنفسِهم في أحضانِ الغَرْبِ ، ومرت الأُمةُ الإسلاميّةُ بأسوأ سنيِّها .

وكانت اللقاءاتُ السريّةُ بينَ العربِ (!) واليهودِ خُصوصاً رفاقَ البندقيّة !! حتّى - اليومَ - وقعَ ما لم يَكن بالحسبانِ ولا خطرَ على بالِ إنسانٍ ؛ وهو أنْ يعترفَ العربُ بعدوِّهم وبحقِّهِ في الاغتصابِ ونهبِ الأوطانِ ، وعلى وجهِ الخصوصِ فلسطين الَّتي رويت بدماءِ الصحابةِ والشهداءِ على مرِّ التاريخِ ، فأضحى المُغتصبُ - بالأمسِ - والمُحتلُّ صديقاً حَميماً - اليومَ - صاحبَ حقٍّ مشروعٍ لا يُنازعُه فيه أحدٌ ! وأيُّ (مُنَغِّصاتٍ) لذلكَ الاتّفاق مرفوضةٌ !! لأنَّها تُفسدُ عمليّةَ السلامِ زَعموا !

وكانَ من بواكيرِ هذهِ العمليّةِ ذلٌّ واستسلامٌ حيثُ أفرزت مسخاً يُسمّى اتفاقَ غزَّةَ أريحا .

ولعلَّ ما سيأتي من أيامٍ سيكونُ أسوأَ ممّا مَضى منها ، حيثُ تَطْبيعُ العلاقاتِ وتبادلُ الثقافاتِ ، وحربُ الإيدز ، والمخدراتُ ، والعملاتُ المُزوَّرةُ ، وكشفُ الأسرارِ ، وهتكُ الأستارِ واستغلالُ الأموالِ العربيّةِ والإسلاميّةِ ، واقتحامُ أسواقِها ، فهو - في حقيقتِهِ - التطبيعُ لطباعِ اليهودِ ، وكسرُ الحواجزِ النفسيّةِ ، وإنشاءُ جيلٍ انهزاميٍّ ، لا

يَعرفُ الإيمانَ ، فضلاً عن الجهادِ ! ، يعيشُ حياةَ الدَّعةِ والكسلِ ، وينسى جهادَ أعدائهِ ، وينسى تاريخَ أَسْلافِهِ عبرَ السنينَ ، ولكنَّ اللّهَ ناصرُ جندِه ، وهازمُ أعدائهِ ، وغالبٌ على أمرِهِ ، طالَ الليلُ أم قَصُرَ ، فإنَّه سيكونُ ؛ مصداقاً لقولِ الرّسولِ ﷺ : « تُقاتلونَ اليهودَ ، فتقتلونَهم ، حتَّى يَقولَ الشجرُ والحَجَرُ : يا مسلمُ ! يا عبدَاللّهِ ! هذا يَهوديٌّ وَرائي تعالَ فاقتلْه ، إلّا الغرقدَ فإنَّه من شجرِ اليهودِ » .

وهذا الحديثُ من أعلامِ نبوَّتِهِ عليه السلامُ ، فإنَّ شجرَ الغرقدِ شجرُ اليهودِ ، وقد ملأَ- هناك - السهلَ والواد ، وأصبحَ يُزرعُ في أنحاءِ البلادِ .

وَلن يَكونَ - قطّ - سلامٌ مع يهودَ - حقيقةً - حتَّى لو وَقعَ !! ؛ لأنَّ اللّهَ كتب عليهم الذلَّ والهوانَ إلى قيامِ الساعةِ : ﴿ **وإذ تأَذَّنَ ربُّكَ ليبعثنَّ عليهم إلى يومِ القيامةِ من يَسومُهم سوءَ العذابِ** ﴾ .

وهذه الآيةُ تُؤَكِّدُ أنْ لا سلامَ ولا أمنَ ليهودَ ؛ لأنَّه لن تَزالَ طائفةٌ تُقاتلُهم حتَّى تَجتثَّهم من جُذورِهم ، ويَومَها يُنطقُ اللّهُ لعبادِهِ الحجرَ والشجرَ - حقيقةً - مُخبراً عن يهودَ ، فَيَنْصُرُ اللّهُ عبادَه ويَرفعُهم ، ويخذلُ من باعوا المُقدساتِ ، وتاجروا بدماءِ الأبرياءِ ، ويَكتبُ اللّهُ الخزيَ والعارَ والشنارَ للمُتخاذلينَ الناكلينَ عن إعدادِ العُدَّةِ لجهادِ يهودَ ، وإنَّ موعدَهم الصبحُ ﴿ **أليسَ الصبحُ بقريبٍ** ﴾ .

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفسَكُم ﴾

محمد موسى نصر

إِنَّ التأَمُّلَ البصيرَ الواعي لِآياتِ اللَّهِ يجعلُ العبدَ المؤْمنَ مُنْضَبِطاً بالأَحكام الشرعيَّة ظاهراً وباطناً ؛ بعيداً عن أَيِّ تأَثُّرٍ - خارجيٍّ أَو داخليٍّ - ولو بأَيِّ تسويغٍ يُسَوِّغُه لنفسِهِ !

من أبينِ ذلك قولُه سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفسَكم هُو أَعلمُ بمن اتَّقى ﴾ ؛ إِذْ فيه النهيُ عن مديح النَّفس ، أَو ذِكر (مآثِرها) و (حسناتها) !!

فالمعنى المجملُ لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم ﴾ أَي : لا « تُخبروا الناس بطهارتها على وجهِ التمدُّح عندهم ، ﴿ هو أَعلم بمن اتَّقى ﴾ ؛ فإِنَّ التقوى محلُّها القلب ، واللَّهُ هو المُطّلع عليه ، المُجازي على ما فيه مِن برٍّ وتقوى ، وأَمَّا الناسُ فلا يُغنون عنكم من اللَّه شيئاً »[1].

ورَبطاً للحكمِ بالواقعِ - ولو من بابِ التمثيلِ - أَقولُ : من أَهمِّ خَصائصِ النظامِ الديمقراطيِّ - الَّذي (يُفْرَضُ) اليومَ على شُعوبِ العالمِ بأَسرِهِ ! - وجودُ الانتخابات البرلمانيَّة النيابيَّة فيه ، وهذا يَقْتضي أَن يُرشِّح عددٌ من (النَّاسِ !) أَنفسَهم للانتخابات ، وبالتالي (عليهم) أَن يقوموا (بالدعاية) لأَنفسِهم مِن أَجلِ ذلكَ !!!

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (٧ / ٢١٦) .

وخلالَ انتخاباتِ نيابيَّةٍ (وَقَعَتْ) أثارَ دهشتي عدةُ مخالفاتٍ شرعيّةٍ وقعَ فيها المرشّحونَ لأنفسِهم ، وليتَهم كانوا من غير المُتديِّنينَ لهان الخطبُ ، بل قد كانوا - وللأسفِ - من المشايخِ الّذينَ يُشارُ إليهم بالبنانِ !!

ومن أظهرِ هدهِ المُخالفاتِ : تزكيةُ أنفسِهم ... فلسانُ حالِهم يقولُ : أنا أفضلُ من تنتخبونَ ! وفي مجلسِ النوابِ تَضعون !.

واحدٌ يُذكّرُ بجهادِهِ ! ويريدُ أن يُوَظّفَ ذلكَ لنجاحِهِ في الانتخاباتِ !

وآخرُ يتشبَّعُ بما لم يُعْطَ ؛ فيُذكّرُ بشهاداتِهِ الجامعيَّة وما يُتقنُ من لُغاتٍ !

وثالثٌ يقولُ في إعلاناتِهِ : ربعُ قرنٍ في خدمةِ القرانِ الكريمِ ، وكأنّه يُريدُ أن يصلَ إلى دنياه عن طريقِ القرآنِ .

وتذكرتُ - ساعتئذٍ - هذهِ الآيةَ : ﴿ فلا تُزكّوا أنفسَكُم هو أعْلَمُ بِمَنْ اتّقى ﴾ وقولَ رسولِ اللّهِ ﷺ : « إيّاكم والتمادحُ ، فإنّه الذّبحُ » ، وهذا إذا كانَ من الآخرين ، فكيفَ إذا كانَ الشخصُ مادحاً نفسَه لينالَ عَرَضاً من الدنيا ! وهل كانَ السَّلَفُ - وهم خيارُ الأُمةِ - يُوظّفونَ آياتِ القرآنِ لمصالحِهم ومآربِهم ؟! وهل يجوزُ من مشايخِ زماننِا فعلُ ذلكَ ليصلَ الواحد منهم إلى قبّةِ البرلمانِ ليَحْظى بالشرفِ والجاه ، ويَحوزَ على جوازِ سفر (دبلوماسيّ) ، ويُشارُ إليه بالبَنانِ !!

ألم يقل الرَّسولُ ﷺ : « إنّا لا نُعطي هذا الأمرَ من طَلَبَه » أي : الإمارةَ والولايةَ ؟! وما أدرى هؤلاءِ أنّهم أهلٌ لتحمُّلِ الأمانةَ والمسؤوليّةَ ؟

ألم يَفقهوا قولَ الرَّسولِ : « لَيَتَمَنَّيَنَّ أقوامٌ وُلّوا هذا الأمرَ أنّهم خرُّوا من الثريّا وأنّهم لم يلوا من أُمورِ الناسِ شيئاً »[1] فكيفَ بمن نصَّبَ نفسَه مُشرّعاً ، ﴿ أم لَهُم شُركاءُ شَرَعوا لهم من الدينِ ما لمْ يأذن بهِ اللّهِ ﴾ ؟! .

حتّى إنَّ بعضَهم استشهدَ بقولِهِ تعالى : ﴿ إنَّ خيرَ من استأجرتَ القويُّ الأمينُ ﴾ وهذه الآيةُ مقولةٌ في حقّ خيرِ خلقِ اللّهِ في زمانِهِ ؛ كليمِ اللّه موسى ، فمن مثلُ موسى أمانةً وخلقاً وعصمةً وعلماً وعملاً ؟!

(١) « سلسلة الأحاديثِ الصحيحة » (٣٦١) .

وكتبَ بعضُهم ﴿ إنْ أُريدُ إلّا الإصلاحَ ما استطعتُ ﴾ ! واللّهُ أعلمُ بإرادتِهِ ونيتِهِ ومدى مصداقيّةِ هذه الإرادةِ بعدَ جُلوسِهِ تحتَ قُبةِ البرلمانِ !

وكتبَ أخرونَ ﴿ والّذينَ هم لأماناتِهم وعهدهم راعونَ ﴾ ! وهذا مدحٌ من اللّهِ لطائفةٍ من عبادِهِ حفظوا العُهودَ وأدّوا الأماناتِ ، وليسَ لأحدٍ أن يدَّعيَ أنَّه أهلٌ للوفاءِ والأداءِ إلّا أن يشاءَ اللّهُ ويُوفّقَه لذلكَ .

فإذا كانَ المُسلمُ الصادقُ لا يقطعُ لغيرِه بالتزكيةِ فكيفَ يقطعُ بها لنفسِهِ .

فتوظيفُ الآياتِ للانتخاباتِ حرامٌ في الدينِ : ﴿ ولا تشتروا بآياتِ اللّهِ ثَمناً قليلاً ﴾ ، وهذا تأكُّلٌ بالقرآنِ بطريقٍ غيرِ مُباشرٍ .

ناهيك عن مآلِ هذه (اليافطات) - أو الأوراق - التي تُكتب عليها الأَحاديثُ والآياتُ !! فإنَّه سلّات المُهْمَلات ، أَو مُجمّعات النفايات !!!

ولا حول ولا قوة إلّا باللّه .

ومن العَجائبِ أنَّ بعضَ العلمانيينَ كانوا يستغلُّونَ القرآنَ - أيضاً - للدعايةِ لأنفسِهم وهم من أوّلِ يومٍ عُرفوا فيهِ كانوا ضدَّ القرآنِ وأهلِهِ .

أمّا الإسرافُ والتبذيرُ وإنفاقُ الأموالِ والكرمُ الحاتميُّ وصنعُ الولائمِ - دعايةً انتخابيّةً - ورفعُ الصورِ العظيمة الضخمة فوقَ أعمدةِ الكهرباءِ فحدّث ولا حرجَ !!

وكلُّ هذهِ أساليبُ لا يُقرّها الإسلامُ ، إذ إنَّ ما أُزهقَ من أموالٍ على المُرشّحينَ أنفسِهم يكفي فقراءَ البلدِ عشراتِ السنينَ ، ويُزوّجُ آلافَ الشبابِ المُعسِرينَ ، ويَبني عشراتِ المَساجدِ ، وأَمّا الأقمشةُ المستعملةُ في الدعاية ، فإنَّها تكفي لتكفينِ آلافِ الموتى من المُسلمينَ ، وكلُّ ذلكَ إسرافٌ وتبذيرٌ ﴿ واللّهُ لا يُحبُّ المُسرفينَ ﴾ .

هذا كلُّه طافَ خاطري ، وجالَ في نفسي ، وأَنا أَتدبَّرُ شيئاً من معاني قولهِ تعالى : ﴿ فلا تُزكُّوا أَنْفسَكم هُوَ أَعلمُ بِمَن اتّقى ﴾ ! مُقارنةً بِشَيءٍ مِن واقع الأُمَّةِ .

فأَين حقيقةُ التدبُّر القرآني .. ؟! وأَين حقيقةُ التصوُّر الإيماني .. ؟!

... هذا كلُّه - في حقيقتهِ - يُناقضُ تمامَ المناقضةِ النهيَ الواردَ في هذه الآيةِ ، ويقذفُ بالمخالفين لها بعيداً عن حكم الشرعِ المُبين . واللّهُ يَهدينا جميعاً سواءَ السَّبيلِ .

الفتنُ وعواملُ التغييرِ

مشهور بن حسن بن سلمان

قد بيّنّا - مِنْ قَبْلُ - شيئاً من النصوصِ النبويّةِ الواردةِ في **اشتدادِ الفتنِ على مرّ الزمنِ.**

والنصوصُ الّتي ذكرناها تُمثلُ ظاهرةً فريدةً في حياةِ الرسولِ ﷺ ، وهي ظاهرةُ الإخبارِ عن الشرِّ المغيَّبِ الّذي سيصيبُ هذه الأُمةَ .

وهذا الحالُ الّذي ستؤولُ إليهِ هذهِ الأُمّةُ هو على النقيضِ - تَماماً - ممّا هي عليهِ في حياتِهِ ﷺ ، ولذا يربطُ كثيرٌ من العُلماءِ والباحثينَ والخُطباءِ والمدرسينَ أحاديثَ « الفتنِ » مع « أشراطِ الساعةِ » !

هذه الظاهرةُ الّتي أخبرَ عنها نبيُّ الإسلامِ - عليهِ الصلاةُ والسلامُ - تسترعي شغفَ وانتباه الصادقينَ من الدُّعاةِ ، وهي تُلفتُ أنظارَنا باستمرارٍ لمعرفةِ كيفَ يَستفيدُ المسلمُ من هذهِ الأحاديثِ للانطلاقِ نحو العملِ في ساحةِ الدعوةِ إلى اللّهِ على المنهجِ الحقِّ ؛ منهجِ السلفِ في التلقّي والتربيةِ والسلوكِ .

ولقد رأينا مَزلقاً خطيراً في التعاملِ مع مثلِ هذهِ النُّصوصِ في ساحةِ العملِ الإسلاميِّ ، ويتمثلُ ذلكَ في مُناداةِ بعضِ (الدُّعاةِ) بإصلاحِ النفسِ فحسب ! والانعزالِ عن تعليمِ الناسِ ودعوتِهم إلى الخيرِ ، ذلكَ أنَّ هذا الواقعَ السَّيئَ المريرَ لا مَجالَ - عندَهم -لتغييرِه ؛ لَطالَما أنَّه سيصيبُ الأُمةَ ما أخبرَ بهِ ﷺ من فتنٍ .

فرأينا هذا الصنفَ من الناسِ يتلقَّفُ أحاديث متناثرةً - من هُنا وهناكَ - عن

الفتنِ وأشراطِ الساعةِ والملاحمِ والدَّجالِ والمهديِّ ويُركِّزُ عليها ، ويجعلُها محوراً رئيساً في دعوتِهِ وموقفِهِ من القضايا العصيبةِ الجليلةِ الّتي تحلُّ بالأُمةِ .

وخطأُ هؤلاءِ يكمنُ فيما يلي :

أوّلاً : تعامُلُ هؤلاءِ مع هذهِ الأحاديثِ على غيرِ فهمِ السلفِ الصالحِ - ذلكَ أنَّهم - أعني السَّلَفَ - بَذلوا أقصى ما يستطيعونَ من جهدٍ لإعلاءِ كلمةِ اللّهِ ، ولم نجدْ أحداً منهم قد توانى في ذلكَ ؛ بحجّةِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أخبرَ عن شرٍّ سيقعُ ! .

ثانيًا : نسيَ هؤلاءِ - أو تناسوا - بعضَ ما وردَ في هذهِ الأحاديثِ ، فقد جاءَ في مَطْلِعِ حديثِ عبدِاللّهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي اللّهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « إنّه لم يَكن نبيٌّ قبلي إلّا كانَ حقاً عليهِ أن يدلَّ أُمتَه على خيرِ ما يعلمُه لهم ، وينذرَهم شرَّ ما يعلمُه لهم » وذلكَ قبلَ قولِه ﷺ : « وإنَّ أُمَّتكم هذه جُعلَ عافيتها في أوّلِها ، وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأُمورٌ تُنكرونَها ، وتجيءُ فتنةٌ فيُرَقِّقُ بعضُها بعضاً » .

فقدَّمَ رسولُ اللّهِ ﷺ بينَ يدي الحديثِ عن هذهِ الظاهرةِ مُهمّةَ الأنبياءِ - وهي مُهمةُ الدعاةِ من بعدِه - ، ذلكَ أنَّ الفتنَ لا تنتشرُ إلّا عندَ غيابِ مُهمّةِ الأنبياءِ في الأُمةِ ؛ المُتمثلةِ بتعليمِ النَّاسِ وتزكيتِهم ، وسُلوكِ الوسائلِ المشروعةِ لتحصيلِ ذلكَ .

ومن سننِ اللّهِ عزَّ وجلَّ أنَّ الفتنةَ إنْ لم تُغزَ وتُحاربْ غَزت الناسَ في عقرِ دارِهم ، ونالت من دينِهم ، وأضعفت بنيانَهم وجسمَهم ، وفرَّقت بينَ أوصالِهم ، وأهدرت جهودَهم ؛ فلا يَستفيدُ اللّاحقُ شيئاً من جهودِ السابقِ .

ثالثًا : إنَّ تعاملَ هؤلاءِ بفهمهم المعكوسِ مع هذهِ الأحاديثِ على هذا النحوِ ؛ إنَّما هو بسببِ غِيابِ التصوُّراتِ الإسلاميةِ الصحيحةِ النابعةِ من الكتابِ وصحيحِ السنّةِ عنهم ، فهم عندما ينادونَ بهذا الإصلاحِ السلبي الباردِ التقوقعيّ يَحكمونَ على أنفسِهم وعلى دعوتِهم بالإعدامِ قبلَ أن يَحكمَ عليهم غيرُهم بذلكَ ؛ فإنَّ ما سَيصيبُ هذهِ الأُمةَ آخرَ الزمنِ لم يأتِ من فراغٍ ، وما هو إلّا بما كسبت أيديهم ، وبسببِ أنَّهم أوجدوا لهذهِ الفتنِ الأسبابَ والبداياتِ ، كما قالَ ربُّنا سبحانَه : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فبما كسبت أيديكُم ويَعفو عن كثيرٍ ﴾ .

فينبغي أن لا تكونَ هذهِ الفِتَنُ - فضلاً عن إخبارِ الرَّسولِ ﷺ عنها - مسوّغاً

للدعاةِ للكسلِ والفتورِ ،والإصابةِ بالوهنِ والقصورِ ، والشعورِ بالإحباطِ واليأسِ من إصلاحِ الناسِ ، فما إخبارُ رسولِ اللّهِ ﷺ عن هذهِ الظاهرةِ إلّا للتحذيرِ من الشرِّ ، وَلِتَحَقُّقِ رحمتِه وشفقتِه على أفرادِ أُمتِهِ ممَّن لم يُدرِكه ﷺ .

فهذهِ الأحاديثُ - في جُملتِها - تكوّنُ حاجزاً مَنيعاً عندَ المسلمِ بحيثُ تفجّرُ الطاقاتِ الكامنةَ في نفسِهِ ، فتتحفزُ لاستقبالِ هذهِ الفتنِ فتكونُ هيّئةً عليها ، باستعدادِها لها .

ورحمَ اللّهُ الآلوسيَّ إذ يَقولُ في « تفسيرِه » (٤ / ١٤٧) : « إنَّما أخبرَهم الرسولُ ﷺ بما سيقعُ ، ليوطّنوا أنفسَهم على احتمالِهِ عندَ وُقوعِهِ ، ويستعدّوا للقائِهِ ، ويقابلوه بحسنِ الصبرِ وَالثباتِ ، فإنَّ هُجومَ الفتنِ ممّا يَزيدُ في اللّأواءِ ، والاستعدادُ للكربِ ممّا يُهوّنُ الخطبَ » .

وعَكَسَ (البعضُ) ذلكَ ، وقَلبوه على أنفسِهم ، فظنُّوا أنَّ التسليمَ بأحاديثِ أشراطِ الساعةِ قد يُؤدي إلى تَقاعُسِ الهِمَمِ ، وفُتورِ القُلوبِ ، والرِّضا بالواقعِ الأليمِ .. فأنكروها جملةً - أو كادوا - لِيُرِيحُوا أنفسَهم ويُرَيِّحوا غيرَهم !!

حتَّى قالَ قائلُهم مُشيراً إلى شيءٍ من ذلكَ : (علمُ الغيبيّاتِ علمٌ قائمٌ بذاتِهِ فَمَن يَقفُ وراءَه ؟) !!!

فعالجَ هؤلاءِ المساكينَ خَطَأً تَصوُّرِيّاً مَغلوطاً بخطإٍ علميٍّ عمليٍّ أكبر !!!

ولا حولَ ولا قُوّةَ إلّا باللّهِ .

وأوّلاً وأخيراً ؛ فإنَّ المسلمَ أمامَ تكليفاتٍ شرعيّةٍ ، فلا يَجوزُ له أن يُعطِّلَها بحجّةِ قدرِ اللّهِ الّذي لا يُغلبُ ، فما هذهِ إلّا قدريّةٌ جديدةٌ !

وليسَ هو أيضاً - بنافٍ إخبارَ رسولِهِ ﷺ ، بُحجَّةِ ردِّ التقاعُسِ ، فما هذا إلّا تَعطيلٌ عَصريٌّ !

نعم ؛ هذهِ التكاليفُ الشرعيّةُ تُفعلُ على قدرِ الوُسعِ والطاقةِ ، وَوَفْقَ القواعدِ المقررةِ ، بنفسٍ طَمُوحِهِ للخيرِ ، مليئةٍ بحبِّ الصلاحِ والإصلاحِ ، للأفرادِ والمجتمعاتِ ، تنشدُ الحياةَ - كلَّ الحياةِ - بالإسلامِ - كلَّ الإسلامِ - .

وما ذلكَ على اللّهِ بعزيزٍ .

١

مظاهر شِركيّةٌ

عبد العظيم بن بدوي

من مُسلَّماتِ العقيدةِ الحقّةِ أنَّ التوحيدَ ثلاثةُ أقسامٍ : توحيدُ الرُّبوبيّةِ ، وتوحيدُ الأُلوهيّةِ ، وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ .

أمَّا توحيدُ الربوبيةِ فمعناه : الإقرارُ ظاهراً وباطناً بأنَّ اللّهَ سبحانَه هو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ ، وأنَّه الخالقُ الرَّازقُ المُحيي المُميتُ ، وأنَّه مدبِّرُ أمرِ هذا الكونِ كلِّهِ ؛ عُلويِّهِ وسُفليّهِ ، وهو الّذي يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاهُ ويكشفُ عنه السوءَ .

وهذا التوحيدُ كانَ المُشركونَ مُقرِّينَ بهِ ، مُستسلمينَ له ، ولكنْ - للأسفِ - وقعَ كثيرٌ من المُسلمينَ أهلِ التوحيدِ فيما لم يقعْ فيهِ المشركونَ ، فأشركوا باللّهِ حتَى في ربوبيّتِهِ !

ومن مظاهرِ هذا الشركِ :

١ - اعتقادُ كثيرٍ من عوامِّ المُسلمينَ وأشباهِهم أنَّ في الكونِ أقطاباً وأبدالاً من الأولياءِ والصالحينَ لهم قَدْرٌ من التصرفِ في حياةِ الناسِ ، فهم يُولّونَ ويَعزلونَ ، ويُعطونَ ويمنعونَ ، وينفعونَ ويضرُّونَ .

كما شاعَ بينَ عوَّامِّ المُسلمينَ أنَّ لهؤلاءِ الأقطابِ والأبدالِ ديواناً يُطلقُ عليهِ ديوانُ الصالحينَ ! مقرّهُ غار حراءٍ ، يجتمعونَ فيهِ كلَّ سنةٍ في الساعةِ الّتي وُلدَ فيها

رسول اللّهِ ، ومن هُناكَ تصدرُ القراراتُ والمراسيمُ بربحِ فُلانٍ وخَيْبةِ فُلانٍ وخُسرانِهِ !

ومن هنا تعلَّقت قُلوبُ كَثيرٍ من الناسِ بالصالحينَ ، وهتفت بهم أَلسنتُهم ، واستُغيثَ بهم ، ودُعوا عندَ الشدائدِ ، ونُودوا للخلاصِ من المحنِ ، وهو مظهرٌ واضحٌ للشركِ في الرُّبوبيةِ ، لما فيهِ من اعتقادِ التصرُّفِ والتدبيرِ في الكونِ لغيرِ اللَّهِ ، ولغيرِهِ معه .

٢ – اعتقادُ كثيرٍ من المُسلمينَ أنَّ لأرواحِ الأولياءِ والصالحينَ تصرُّفاً بعدَ موتِهم ؛ ولذا أصبحت الأَضرحةُ والمشاهدُ والقُبورُ ملاذاً لكلِّ خائفٍ ، ومُستشفىً لكلِّ مَريضٍ ، فمن أصابَه كربٌ ، أو نَزلَ بهِ ضيمٌ ، أو حلَّت بهِ نكبةٌ : فزعَ إلى تلكَ الأضرحةِ والمشاهدِ والقبورِ راجياً منها تفريجَ كربِهِ وقضاءَ حاجتِهِ ، حتّى شاعَ بينَ العوامِّ : إذا تعسرت الأمورُ فعليكم بأصحابِ القبورِ ! فيأتونَهم للاستغاثةِ بهم ، والدُّعاءِ عندَهم ، وهذا أيضاً شركٌ ظاهرٌ لما فيهِ من اعتقادٍ باطلٍ أنَّ لأرواحِ الصالحينَ تصرُّفاً بالعطاءِ والمنعِ والضررِ والنفعِ .

أمّا توحيدُ الأُلوهيّةِ فمعناهُ – كما سَبَقَ – : إفرادُ اللّهِ بالعبادةِ حتى لا يُعبدَ غيرُه ، ولا يُعبدَ معه غيرُه ، **والعبادةُ : اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللّهُ ويرضاه من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ** ، فالنطقُ بالشهادتينِ والتسبيحُ والتحميدُ والتكبيرُ والتهليلُ عبادةٌ ، والدعاءُ عبادةٌ والحَلِفُ عبادةٌ ، والصلاةُ والصيامُ والحجُّ والطوافُ وتقبيلُ الحجرِ الأسودِ ، واستلامُ الركنِ اليمانيِّ ، والذبحُ والنذرُ ... كلُّ ذلكَ عبادةٌ .

والإيمانُ ، والمحبةُ ، والخوفُ والخشيةُ والرَّجاءُ والرَّغبةُ ، والتوكلُ عبادةٌ .

والعبادةُ لا يجوزُ صَرْفُ شيءٍ منها لغيرِ اللّهِ .

فالدعاءُ عبادةٌ ، كما قالَ تعالى : ﴿ وقالَ ربُّكم ادعوني أستجبْ لكُم إنَّ الَّذينَ يَستكبرونَ عن عبادتي سيدخلونَ جهنَّمَ داخرينَ ﴾ وقالَ النبيُّ ﷺ : « الدعاءُ هو العبادةُ »[1] .

(١) الترمذيُّ (٤٠٤٩ ، أبو داود (١٤٦٦) ، ابنُ ماجه (٣٨٢٨) بسندٍ صحيح.

وإنَّما كانَ الدعاءُ عبادةً لأنَّ فيهِ - لِلَّهِ - ذِلَّةً وانكساراً وافتقاراً ، وهذه هي حقيقةُ العبادةِ ، فلا يَجوزُ لمسلمٍ أن يدعوَ غيرَ اللّهِ ، أو يستغيثَ بهِ .

ومن العَجيبِ أن تسمعَ بعضَ المُسلمينَ يدعو وينادي غائباً ، حيّاً كانَ هذا الغائبُ أو ميتاً !

ومن العجيبِ أن تسمعَ من تقولُ عندَ الولادةِ : يا أمَّ هاشمٍ ! وأن تسمعَ من يقولُ عندَ الضِّيقِ : يا سيد الرّجالِ يا رفاعي ، وهذا كلُّه شركٌ باللّهِ : ﴿ ومن أضلُّ ممن يَدعو مَنْ لا يَستجيبُ له إلى يومِ القيامةِ وهم عن دعائِه غافلونَ وإذا حُشرَ الناسُ كانوا لَهمْ أعداءً وكانوا بعبادتِهم كافرينَ ﴾ .

ولهذا نهى اللّهُ عن دعاءِ غيرِه فقالَ : ﴿ ولا تدعُ من دونِ اللّهِ ما لا ينفعُكَ ولا يضرُّكَ فإنْ فعلتَ فإنَّكَ إذاً من الظالمينَ ﴾ .

ومن العباداتِ القوليّةِ الحَلِفُ باللّهِ ، والحَلِفُ لا يَجوزُ إلّا باللّهِ أو باسم من أسمائِهِ أو صفةٍ من صفاتِهِ ولا يَجوزُ الحلفُ بالشرفِ ولا بالأنبياءِ ، لقولِ النبيِّ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللّهِ فقد أشركَ »[1] .

والصلاةُ عبادةٌ ، أهمُّ أركانِها الرُّكوعُ والسجودُ ، فلا تصحُّ بدونِهما ، وقد أمرَ اللّهُ بهما المؤمنينَ فقالَ : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا اركَعُوا واسجدوا واعبدوا ربَّكم وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُفلحونَ ﴾ ، وأمرَ بهما مريمَ فقالَ : ﴿ يا مريمُ اقنُتي لربِّكِ واسجدي واركعي مع الرّاكعينَ ﴾ .

فالركوعُ عبادةٌ لا يَجوزُ صرفُها لغيرِ اللّهِ ، والسجودُ عبادةٌ لا يَجوزُ صرفُها لغيرِ اللّهِ ، فمن انحنى لأحدٍ أو سجدَ له فقد أشركَ .

وعن أنسٍ رضي اللّهُ عنه قالَ : قالَ رجلٌ يا رسولَ اللّهِ ! الرَّجلُ منّا يَلقى أخاهُ أو صديقَه أينحني له ؟ قالَ « لا » قالَ : أفيلتزمهُ ويقبّله ؟ قالَ : « لا » قالَ : فيأخذُ بيدِهِ ويُصافحُه ؟ قالَ : « نعم »[2].

---

(١) الترمذيُّ (١٥٧٤) .

(٢) الترمذيّ (٢٨٧١) .

وعن عبدِاللّهِ بنِ أبي أوفى قالَ : لما قدِمَ معاذٌ من الشامِ سجدَ للنبيِّ ﷺ فقالَ : « ما هذا يا مُعاذُ ؟ » قالَ : أتيتُ الشامَ فوافقتُهم يسجدونَ لأساقفتِهم وبطارقتِهم ، فوددتُ في نفسي أن نفعلَ ذلك بكَ ! فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « لا تفعلوا ؛ فإنّي لوكنتُ آمراً أحداً أن يسجدَ لغيرِ اللّهِ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجِها »(١).

والحجُّ عبادةٌ ، أهمُّ أركانِها الطوافُ بالبيتِ ، قالَ تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفوا بالبيتِ العتيقِ ﴾ ، ومن المُستحبِّ فيهِ استلامُ الرُّكنِ اليماني وتقبيلُ الحجرِ الأسودِ ، فلا يَجوزُ لمسلمٍ أن يَطوفَ بأيِّ بناءٍ ، أو أن يتمسَّحَ بأي جدارٍ ، أو يُقبِّلَ أيَّ حجرٍ ، فالّذي يَطوفُ بالقبورِ والقبابِ ، ويُقبِّلُ الأعتابَ ويتمسحُ بالجدرانِ والحديدِ المنصوبِ حولَ الضريحِ قد ارتكب باباً مِن أبواب الشركِ .

والنذرُ عبادةٌ ، قالَ تعالى : ﴿ وما أنفقْتُم مِنْ نفقةٍ أو نذرتُم مِنْ نذرٍ فإنَّ اللّهَ يعلمُه ﴾ أي : وسيجزيكم به ، ومدحَ المُوفينَ بالنذرِ فقالَ : ﴿ يُوفونَ بالنَّذرِ ويَخافونَ يوماً كانَ شرُّه مُستطَيراً ﴾

فلا يَجوزُ لمسلمٍ أن ينذرَ لغيرِ اللّهِ أَيَّ شيءٍ ، لا لحمٍ ولا خبزٍ ولا أَيِّ شيءٍ ، فمن نذرَ لغيرِ اللّهِ فقد ارتكب باباً مِن أبواب الشركِ .

والذبحُ عبادةٌ ، أَمرَ اللّهُ بها وقرنها بأهمِّ أركانِ الدينِ ؛ بالصلاةِ ، فقالَ : ﴿ فصلِّ لربِّكَ وانحر ﴾ وقالَ : ﴿ قل إنَّ صَلاتي وَنُسُكي ومحيايَ ومماتي للّهِ ربِّ العالمينَ ، لا شريكَ له وبذلكَ أُمرتُ وأنا أوّلُ المُسلمينَ ﴾ ، فلا يَجوزُ لمسلمٍ أن يذبحَ لغيرِ اللّهِ ، فإنْ فعلَ فقد أشركَ ، وقد قالَ ﷺ : « لعن اللّهُ مَنْ ذَبَحَ لغيرِ اللّهِ »(٢).

وهذه كلُّها مظاهرُ شِركيّة في الأعمال الظاهرة .

(وللبحثِ صِلَةٌ ...)

---

(١) ابن ماجه (١٨٥٣) .

(٢) مسلم (١٩٧٨) ، النسائي (٧ / ٢٣

٢

نحو النفسيّة المستسلِمة لله

محمد عبد العَبّاسي

إنَّ من المعروف أنَّ مسائلَ العقيدة هي أساسُ الدين ، وأمَّا الأعمال فنتائجُ لها وتتمّاتٌ وثمرات ، ولذلك بيَّنَ اللَّه سبحانه أنَّ من فسدت عقيدته فلا يفيده عملٌ ، وذلك قوله جلَّ شأنه : ﴿ إنَّ اللَّه لا يَغفرُ أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ؛ فمن صحّت عقيدته ، وسلم قلبه فلا خطر عليه وسينجو ، أمَّا من خالط إيمانَه شكٌّ أو عقيدتَه تردُّدٌ فعليه الخطر كل الخطر .

وإنَّه لأسهل ألف مرَّة أن يرتكب المسلم ذنباً - ولو كان كبيرة من الكبائر - وهو يُقِرُّ بحرمتها ويعترف بأنَّها معصية ، من أن يرتكبها ويحاول تسويغَها ويجادل في وقوعه في الإثم ، ويحاول التماسَ الفتاوى بطرق الاحتيال والالتواء !!

إنَّه لأخفُّ جرماً عند اللَّهِ ألف مرَّة أن يذنب المسلم ويعترف بذنبه ويقرّ بمعصيته ، من أن يرد حكماً من أحكام الدين أو يتأوله بهواه ، أو يُحَكّم فيه عقله ، فيقبل منه ما شاء ويرفض ما شاء .

ذلك أنَّ ارتكابَ الذنوب معصيةٌ تمحى بالتوبة وتُكَفَّر بالحسنة ، بينما إنكار حكم ثابت ، أو تحكيم العقل فيه وقَبولُ ما يسوغه وإنكار مالا يسوغه ، يُعدُّ كُفراً لا

يقبل معه عمل ولا تنفع معه طاعة ، ولا يَنتجَ إلّا عن تكبر وعناد .

والتكبر في تعريف النَّبي ﷺ : « بَطْرُ الحق وغمط النَّاس »[١] وبَطْرُ الحق : رده بعد ثبوته .

وما نال اللعينَ ما ناله إلّا بسبب تكبره وجُحودِهِ ، وتحكيم عقله في أمر اللَّه ؛ لقد أمره اللَّه بالسجود لآدم الذي رآه خُلق أمامه من طين وقد خُلق هو من نار ، فاستنتج بعقله أنَّ النَّار خيرٌ من الطين ، وإذن فلا يجوز برأيه أن يسجد لآدمَ ! فماذا كان ؟ لقد طُرد من رحمة اللَّه ورُجم ولُعن إلى يوم القيامة ، لماذا ؟ لأنَّه لم يمتثل أمر اللَّه سبحانه ولم يستسلم له ، بل اعترض عليه - جاحداً - وجعل عقله وهواه مرجعاً له وحكماً ، وعاند وجادل بالباطل ولم يتب ولم يعترف بذنبه ..

وأما آدم فقد عصى اللَّه أيضاً ، لكن تاب اللَّه عليه فاجتباه إليه وهدى ؛ كلاهما عصى ربَّه وأذنب ، ولكن الأول عاند واستكبر ، واعترض وتعنّت ، واتهم ربه في مفهوم كلامه بالظلم والطيش والحماقة - والعياذ باللَّه - ، والثاني ندم وتاب وأناب ، وأقر بذنبه واعترف بخطيئته ، فتاب اللَّه عليه ونجّاه ، ولم يخالجه شك - لحظةً - في أن اللَّه حكيم في أمره وعادل في حُكمه ، وأنَّه يجب أن يطاع فلا يعصى وأنْ يتقى فلا يُؤْمَن من مكره .

وقد شرط اللَّهُ سبحانه وتعالى على المؤمن الخضوعَ الكاملَ له دون اعتراض ، ونفى الإسلام والإيمان عمن يُخِلُّ بذلك ، فقال جل شأنه : ﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتى يُحَكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً مما قضيتَ ويُسَلِّموا تسليماً ﴾ .

ثم انظر كيف يصف سبحانه المؤمنين بالاستسلام الكامل فيقول : ﴿ إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك

(١) جزء من حديث روى مسلمٌ أوَّله : « لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر ... » .

هم المفلحون ﴾ نعم ؛ سمعاً وطاعة للّه ولرسوله ، فنحن عبيدٌ للّه ، يتصرف فينا كيف يشاء ، ونحن آمنا بأنّه مولانا الحكيم العظيم القادر العادل العليم المنزه عن الأخطاء والنقائص ، فلا نشكّ في أمره ، ولا نترفّع عن تكليفه ، ولا نتردّد في الإيمان بحكمه .

وهنا ملاحظةٌ مهمّةٌ ؛ **وهي أنّ العقل الإنساني قاصرٌ عن إدراك جَميعِ الغايات والحِكَم لأوامر اللّه ونواهيه** ، فقد يخفى عليه بعضها وتستعصي عليه معرفتها ، فلا يجوز أن يُتَّخَذَ حَكَماً ومرجعاً فيقول : ما ظهر لي الحكمة منه والفائدة من الأمر به اعتقدته وفعلته ! وما لم تظهر لي الحكمة منه والمصلحة من الأمر به أو النهي عنه فلا أعتقده ولا أنفذه !! إن هذا عين الضلال والعياذ باللّه .

الحقيقة أنّه لا تظهر العبودية للّه كاملةً ، ولا يتضح الخضوع للّه والتسليم له تاماً في الأوامر والنواهي التي يكشف العقلُ حكمتَها وفائدتَها ؛ لأنّه يفعلها الإنسان بدافع الفوائد التي تظهر له فيها ، والمصالح التي تتحقق عن طريقها ، فلا يظهر بها خضوع الإنسان الحق للّه سبحانه ، إنما يتضح الإسلام الصحيح والعبودية الحقة في تنفيذ الأوامر التي لا يعرف الإنسان حِكمةً منها ، ولا تبدو له مصلحةٌ من ورائها ، وإنما يكون دافعُه إلى تطبيقها تنفيذَ أمر اللّه سبحانه ، والخضوعَ الكامل له تبارك وتعالى ، والإقرارَ التامَّ بأنَّ له عليه حق الطاعة والهيمنة والسيادة .

وهذا هو جوهر الإسلام ولبّ الإيمان .

ولأمرٍ ما جعل اللّه تعالى ثواب فريضة الحج - ذات الأعمال والشعائر التي لا يبدو للإنسان كثير فوائد ومنافعَ فيها - أكبر الثواب وأجرها أعظم الأجر ؛ فقال عليه السلام : « الحج المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة » [1] ، وبهذا نرد على كثير من

---

(١) رواه أحمد عن جابر والطبراني عن ابن عباس ، وحسّن إسناده أستاذنا الألباني في « الإرواء » (٧٦٩) و « صحيح الجامع » (٣١٧٠)

المشككين والمتهكمين القائلين : ما الفائدة من الطواف حول هذا البناء الحجري والسير بين الصفا والمروة والتنقل بين الأماكن المقفرة ، والوقوف عندها في الحر الشديد والزحام الهائل والعدد الضخم مما يسبب الجهد والتعب والضيق والضجر والأوساخ والمزعجات ؟ وما الحكمة من هذه الذبائح الكثيرة جداً التي كان يُلقى الكثير منها دون فائدة ؟ ولماذا يفرض على الإنسان أن يسافر المسافات الشاسعة ويقطع الفيافي والقِفار ليجيء لهذا المكان ؟ [1] !

ويَخْرَجُ الكثير من المؤمنين بهذه الأسئلة ، ويلهثون وهم يبحثون عن جواب مقنع وبرهان دافع دون جدوى !!

ولا حاجة بنا إلى الذهاب بعيداً والتفكير طويلاً للرد على هذا المُشَكِّكِ وأمثاله ، ويكفينا أن نقول : إنَّ هذه الفريضة ثبت الأمر بها في الكتاب والسنَّة ، ولا شكَّ في ذلك مطلقاً ، والذي أمر بها هو ربُّنا ومولانا ومعبودنا تبارك وتعالى ، ونحن عبيده ومخلوقاته ، وحسبنا أن نطيعه سبحانه وننقاد لأمره ، ولو أمرنا بما لا نفهم سببه أو ندرك حكمته ، فالواجبُ علينا أن نطيعه وأن نعبده ، لأنَّنا عبيده وليس للعبد على سيده اعتراض ، ولا للمخلوق في أمر خالقه تَوَقُّفٌ ، ومن يرى غير ذلك فليتفحَّص إيمانه ، وليراجع إسلامه ، فاللَّه تعالى يقول في ذلك : ﴿ لا يُسأل عما يفعلُ وهُم يُسألونَ ﴾ .

ويجب أن نهتمَّ بالإضافة إلى ما ذكرنا لأمر هامٍّ ، ألا وهو التثبّت ممايُنْقلُ إلينا

---

(١) ومن ذلك قول المَعَرّي متهكماً :

وقـوم أَتَـوا من أقاصي البلاد ... لرمي الجمار ولثم الحجر

وقوله الآخر :

يد بخمس مئينٍ عسجدٍ وُديت ... ما بالُها قُطعت في ربع دينار

فرد عليه الفقيه الفطن بقوله :

عزّ الأمانة أغلاها وأرخصها ... ذلُّ الخيانة فافهم حكمةَ الباري

من أحكامٍ شرعيّةٍ ، وَتَحَرِّي الصواب في ذلك .

فلا يصحُّ أن نُسَلِّم لكل ما ينقل ونخضع لكل ما يروى ، بل علينا التثبُّت من النقل والتمحيص للحكم ، وأهم شيء يساعدنا في ذلك دراسة السنة المطهرة ومعرفة صحيحها وضعيفها .

ولا يظنَّن أحدٌ أنَّني أريد بما سبق أن يُلغي المسلمُ عقلَه وينبذ تفكيره ويقلد تقليداً أعمى ، كلا فليس ذلك من الإسلام في شيء ، بل على المسلم أن يُفَكِّر ويُعمل عقله ؛ ولكن في الحدود التي أذن اللَّه تعالى له فيها ، فلا بأس من أن يبحث المُسلمُ عن حِكَم التشريع وفوائده ، ولا حرج في ذلك عليه البتة ، لكن الذي أقصده أنَّ على المسلم بعد ثبوت الحكم الشرعي والتيقُّن منه أن يعمل به رأساً ، دون أن يعلق قبوله والعملَ به على معرفة حِكمته وإدراك فائدته ، ثم إن شاء بعد ذلك أن يفكر في حِكَمِه وفوائده فإن عثر على ما يطمئنُّ إليه ويستريح له واطلع على شيء من المصالح والمنافع ، فيكون ذلك نوراً على نور وخيراً فوق خير ، وإن لم يعثر على شيء من ذلك لم يخسر شيئاً بل يسارع إلى تنفيذ أوامر اللَّه ويُسَلِّم له فيها تسليماً ، ويتذكر قوله سبحانه : ﴿ وما أُوتيتُم من العلم إلّا قليلاً ﴾ ويقول بكل رضاً واقتناع : سمعاً لربِّي وطاعة ، وأفوض أمري إلى اللَّه .

ليس في ذلك حجْرٌ على التفكير ، ولا تضييق على العقل أبداً ، بل هو إيقاف للعقل عند حدّه ، ومَنْعٌ له مِنْ أن يشتطَّ أو ينحرف .

ثُمَّ إنَّ من الحقيقة أن نقول : إنَّ العقل البشري لا يستطيع أَنْ يفهم كل شيء ، ولا يمكنه الإحاطة بكل سر ، أو الاطّلاع على كل حقيقة ، بل له حدود وقيود وطاقة معينة ، وليس من الإزراء به والانتقاص من حقه أن نمنعه من التدخل فيما لا يحيط بعلمه ، ولا يتمكن من معرفته ، بل إنَّ ذلك هو الاحترام له وتقديره حقَّ قدره وهو اللائق به ، ورحم اللَّه من عرف حدّه فوقف عنده .

وفقنا اللَّه لفهم كتابه ، وحفظنا من الشطط والانحراف ، وهدانا للصراط السوي ، إنَّه مولانا ونعم المولى ونعم النصير .

المحنة المحمودة

علي بن حسن

يُخْطِئُ كثيرُ من المسلمينَ لمّا (يَتوهَّمونَ) أنَّ ما يُصيبُهم مِن ابتلاءاتٍ أو مِحَنٍ أو مصائبَ إنَّما هو دليلٌ على رفعةِ إيمانِهم ، أو عُلُوِّ منزلتِهم ، أو صوابِ نَهْجِهم !! وليسَ ذلكَ بلازمٍ كما لا يَخفى ، **بل قد يَكونُ** - عياذاً باللّهِ - **عُقوبةً على خَطأٍ** ، أو جزاءً على خَطَلٍ .

لكنَّ المطلوبَ مِنَ المسلمِ - في سائرِ أحوالِهِ - اللجوءُ إلى اللّهِ ، وحسنُ الظنِّ بهِ - سبحانَه - واللَّهَجُ بسؤالِ العفوِ والعافيةِ ، **مع اتِّهامِ النفسِ وهَضْمها** .

فقد يَكونُ سببُ البلاءِ - أحياناً - خللاً في التصوُّرِ ، أو انحرافاً في النهجِ ، أو بُعداً عن الجادّةِ ؛ وهذه كلُّها - في ثمرتِها - معدودةٌ من الذنوبِ والمعاصي ، الَّتي لا يَعلمُ حقيقةَ مفاسدِها ، ولا نتائجَ مساوئِها إلّا ربُّ العالمينَ .

قالَ العلّامةُ ابنُ القيمِ رحمه اللّهُ في كتابِهِ الماتعِ « الداء والدواء » (ص ٤٤) :

« فمما يَنبغي أن يُعلمَ : أنَّ الذُّنوبَ والمَعاصي تضرُّ ، ولا بدَّ وأنَّ ضررَها في القلبِ كضررِ السمومِ في الأبدانِ ، على اختلافِ درجاتِها في الضررِ ، **وهل في الدنيا والآخرةِ شرٌّ وداءٌ إلّا سببه الذنوبُ والمعاصي ؟**

فما الّذي أخرجَ الأبوينِ من الجنّة ، دار اللّذةِ والنعيمِ والبهجةِ والسرورِ ، إلى دارِ

الآلامِ والأحزانِ والمصائبِ ؟

وما الّذي أخرجَ إبليسَ من مَلكوتِ السماءِ ، وطرده ولعنَه ، ومسخَ ظاهرَهُ وباطنَه فجعلَ صورتَه أقبحَ صورةٍ وأشنعها ، باطنَه أقبحَ مِنْ صورتِهِ وأشنع ، وبُدِّلَ بالقربِ بُعداً ، وبالرَّحمةِ لعنةً ، والجمالِ قُبحاً ، والجنةِ ناراً تَلظّى ، وَبالإيمانِ كُفراً ، وبموالاةِ الوليِّ الحميدِ أعظمَ عداوةٍ ومُشاقّةٍ ، وبزجلِ التسبيحِ والتقديسِ والتهليلِ زجلَ الكفرِ والشركِ والكذبِ والزورِ والفُحشِ ، وبلباسِ الإيمانِ لباسَ الكُفرِ والفُسوقِ والعصيانِ ، فهانَ على اللّهِ غايةَ الهوانِ ، وسقطَ من عينِهِ غايةَ السُقوطِ ، وَحلَّ عليه غضبُ الربِّ تعالى فأهواه ، ومقتَه أكبرَ المقتِ فأرداهُ ، فصارَ قوّاداً لكلِّ فاسقٍ ومُجرمٍ ، رضي لنفسِهِ بالقيادةِ بعدَ تلكَ العبادةِ والسيادةِ ؟

فعياذاً بكَ اللّهمَّ من مُخالفةِ أمرِكَ وارتكابِ نهيكَ .

وما الّذي غرّقَ أهلَ الأرضِ كلَّهم حتّى عَلا الماءُ فوقَ رؤوسِ الجبالِ ؟

وما الّذي سلَّطَ الريحَ على قومِ عادٍ حتى ألقتهم موتى على وجهِ الأرضِ كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاوية ، ودمّرت ما مرَّت عليهِ من ديارِهم وحروثِهم ، حتّى صارُوا عبرةً للأُممِ إلى يومِ القيامةِ ؟

وما الّذي أرسلَ على قومِ ثَمودَ الصيحةَ حتّى قطَّعت قُلوبَهم في أجوافِهم ، وماتوا عن آخرِهم ؟

وما الّذي رفعَ قرى اللوطيّة ثمَّ قلبها عليهم ، فجعلَ عاليَها سافلَها ، فأهلكهم جميعاً ، ثمَّ أتبعَهم حجارةً من السماءِ أمطرها عليهم ، فجمعَ عليهم من العقوبةِ ما لم يجمعْه على أمةٍ غيرِهم ؟! **ولإخوانِهم أمثالُها ، وما هي من الظالمينَ ببعيدٍ .**

وما الّذي أرسلَ على قومِ شعيبٍ سحابَ العذابِ كالظُّللِ ، فلمّا صارَ فوقَ رؤوسِهم أمطرَ عليهم ناراً تلظّى ؟

وما الّذي أغرقَ فرعونَ في البحرِ ، ثمَّ نُقلت أرواحُهم إلى جهنَّمَ ؛ فالأجسادُ للغرقِ ، والأرواحُ للحرقِ ؟

وما الّذي خَسَفَ بقارونَ ودارِه ومالِه وأهلِه ؟

وما الّذي أهلكَ القرونَ من بعدِ نوحٍ بأنواعِ العُقوباتِ ودمَّرها تدميراً ؟

وما الَّذي أَهلكَ قومَ صاحبَ ياسينَ بالصيحةِ ؛ حتّى خَمَدوا عن آخرِهم ؟

وما الّذي بعثَ على بني إسرائيل قوماً أُولي بأسٍ شديد فَجَاسُوا خلالَ الديارِ ، وقتلوا الرّجالَ ، وسَبَوْا الذريّةَ والنساءَ ، وأحرقوا الديارَ ، ونهبوا الأموالَ ، ثمَّ بعثهم عليهم مرّةً ثانيةً ، فأهلكوا ما قَدِروا عليه وتبَّروا ما عَلَوْا تَتْبيراً ؟

وما الَّذي سلَّطَ عليهم أنواعَ العُقوباتِ ، مرةً بالقتلِ وَالسبي وخرابِ البلادِ ، ومرةً بجورِ الملوكِ ، ومرةً بمسخِهم قردةً وخنازيرَ ، وآخرُ ذلكَ أقسمَ الرَّبُ تباركَ وتعالى : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهم إلى يومِ القِيامةِ مَنْ يَسُومُهُم سُوءَ العذابِ ﴾ » .

أقولُ : إنَّها الانحرافاتُ عن شرعِ اللّهِ .. إنَّها المُخالفاتُ لدينِ اللّهِ .. إنّها التنكُّبُ لِسَنَنِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، وقد صحَّ عن رسولِ اللّهِ ﷺ قولُه : « إذا ظهرت المعاصي في أُمتي عمّهم اللّهُ بعذابٍ من عندِهِ » .

فقالت أُمُّ سَلَمَةَ : يا رسولَ اللّهِ ! أَمَا فيهم يومئذٍ أُناسٌ صالحونَ ؟!

قالَ : « بلى » .

قالَت : قلتُ : فكيفَ يُصْنَعُ بأولئكَ ؟!

قالَ : « يُصيبُهم ما أصابَ الناسَ ، ثمَّ يَصيرونَ إلى مغفرةٍ من اللّهِ ورضوانٍ »[1] .

والأمرُ كلُّه – في أوّلِ حالهِ إلى نهايةِ مآلِهِ – كما قالَ اللّهُ ذو الجلالِ : ﴿ **وَمَا أَصابَكُم مِنْ مُصيبةٍ فَبِما كَسَبت أيديكُم** ﴾ .

إذن ؛ فالعبدُ الصالحُ فيما يُصيبُه مِن بلاءٍ هو أَمامَ مِحنةٍ محمودةٍ ؛ تُعليه وترفعُ شأنَه أو أمامَ محنةٍ مذمومةٍ ؛ عقاباً له ، وجزاءً لسوءِ عَمَلِهِ .

ولقد أشارَ إلى نحوٍ من هذا الإمامُ الذهبيُّ في « سير أعلامِ النبلاءِ » (٨ / ٧٢ – ٧٣) عندَما كانَ يتكلَّمُ عن فتنةِ الإمامِ مالكٍ وما أصابَه فيها ، وأنَّه ضُربَ بالسياطِ « وجُبذت يده حتّى انخلعت من كتفِهِ ، وارْتُكبَ منه أمرٌ عَظيمٌ ، قالَ : فواللّهِ ما زالَ مالكٌ بَعْدُ في رِفعةٍ وعُلوٍّ » ..

---

(١) رواه أحمد (٦ / ٣٠٤) بسندٍ حسنٍ ،وانظر « مجمع الزوائدِ » (٧ / ٢٦٨).

فعقَّبَ الإمامُ الذهبيُّ بقولِهِ :

« قلتُ : هذا ثمرةُ **المحنةِ المحمودةِ** ؛ أنَّها ترفعُ العبدَ عندَ المؤمنينَ ، وبكلِّ حالٍ فهي بما كسبت أيدينا ، ويعفو اللّهُ عن كَثيرٍ ، « ومن يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيراً يُصِبْ مِنْه »[١] ، وقالَ النبيُّ ﷺ : « كلُّ قضاءِ المؤمنِ خيرٌ له »[٢] وقالَ اللّهُ تعالى : ﴿ ولَنَبْلُوَنَّكم حتَّى نَعْلَمَ المُجاهدينَ مِنْكُم والصابرينَ ﴾ ، وأنزلَ في وقعةِ أحدٍ قولَه : ﴿ أَوَلَمَّا أصابتْكم مُصيبةٌ قد أَصَبْتُم مثليْها قُلْتُم أنَّى هذا ؛ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أنفسِكم ﴾ وقالَ : ﴿ وما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبةٍ فَبِما كَسَبَت أيديكم ويَعفو عن كَثيرٍ ﴾ .

فالمؤمنُ إذا امْتُحنَ صَبَرَ واتَّعظَ ، واستغفرَ ، ولم يَتشاغلْ بذمِّ مَن انتقمَ منه ، فاللّهُ حَكَمٌ مُقسطٌ ، ثمَّ يَحمَدُ اللّهَ على سلامةِ دينِهِ ، ويعلمُ أنَّ عقوبةَ الدنيا أَهونُ وخيرٌ له » .

وعليه ؛ فلا يَنبغي أن يستعجلَ المؤمنونَ بالفَرَحِ والنَّشْوَةِ بمجرّدِ ابتلائهم أو محنتِهم ، فقد يكونُ هذا الابتلاءُ – أو تلكَ المحنةُ – عِقاباً على شَرٍّ ، أو عُقوبةً على ضُرٍّ ، وبالتالي ليست من المِحنةِ المحمودةِ الّتي قالَ في مثلِها رسولُ اللّهِ ﷺ : « إنَّ الصالحينَ قد يُشَدَّدُ عليهم .. »[٣]...

نعم ؛ المؤمنُ يَرجو رحمةَ اللّهِ ، ويُسَدِّدُ عملَه ، ويُرشِّدُ نفسَه ، **فلعلّه .. لعلّه** يكونُ مِمّن قالَ فيهم النبيُّ ﷺ : « أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ .. »[٤].

واللّهُ الهادي إلى سواءِ السَّبيلِ .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٥) .

(٢) رواه مسلمٌ (٢٩٩٩) عن صُهيبٍ ، بنحوِه .

(٣) رواه أحمدُ (٦ / ١٥٩) وابنُ حبان (٢٩١٩) والحاكم (٤ / ٣١٩) عن عائشةَ بسندٍ صحيح .

(٤) أخرجه الترمذيُّ (٢٣٩٨) وأحمدُ (١ / ١٨٥) وابنُ ماجةَ (٤٠٢٣) عن سعدٍ بسندٍ حسن .

٢

مصائبُنا ... مَنْ وراءَها ؟!

الأسباب والعلاج

عدنان العرعور

قد سبقَ أنْ ذكرنا المذهبَ الحقَّ في أسبابِ مصائبنا ، وبيَّنَّا خطورةَ الإنحرافِ عن هذا التصورِ الصحيحِ ... وما يترتَّبُ على ذلكَ من مضارٍّ بالعقيدةِ والمنهجِ والتربيةِ .

وأثبتنا بأدلةِ الكتابِ والسنّةِ أنَّ السببَ الأوّلَ الّذي يكمنُ وراءَه ما أصابَنا من بَلايا ورزايا هو : ﴿ ما كَسَبَتْ أيدينا ﴾ .

ونبّهنا - أيضاً - إلى أنَّ إناطةَ ما يُصيبُنا بأنفسِنا لا يلزمُ منه تبرئةُ الكفارِ ممّا يُخططونَ ويفعلونَ بالمسلمينَ .

وأشرنا إلى أنَّ الّذينَ يُخالفونَ هذا المنهجَ الحقَّ إنَّما ينظرونَ إلى المَصائبِ بمنظارِ السطحيّةِ ، ويُحللونَ الأحداثَ بارتجاليّةٍ بعيدينَ عن الهدي الرَّباني في بيانِ حقيقةِ الأسبابِ ، وتحليلِ الوقائعِ ...

ونذكُرُ هُنا - بمنّةِ اللّهِ - ثمراتِ الإيمانِ بهذا التصوُّرِ ومنافعَ العملِ بهِ :

• **ثمرات الإيمان بمفهومِ (ما أصابنا بما كسبت أيدينا)**

الأوّلى : التوفيقُ والرَّحمةُ والهدايةُ ، جزاءَ طاعةِ اللّه في السَّيْرِ على منهجِ القرآنِ في تحليلِ الوقائعِ ، ﴿ وإن تُطيعوهُ تَهتَدوا ﴾ ، ﴿ وأطيعوا اللّهَ والرَّسولَ لعلَّكم تُرحَمونَ ﴾ .

الثانيةُ : الشعورُ بالتقصيرِ تجاه اللّهِ عزَّ وجلَّ ، الأمرُ الّذي يَدفعُنا إلى الجدِّ والاجتهادِ في طاعةِ اللّهِ تعالى واتباعِ رسولِهِ ﷺ .

ففي الحديثِ القدسي : « وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممّا افترضتُ عليهِ ، ولا يَزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتّى أُحبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَهُ الّذي يسمعُ بهِ ، وبصرَهُ الّذي يُبصرُ به ... »

ومقتضى ذلكَ ولازمُه أن يَكونَ دماغَه الّذي يخططُ به كذلكَ .. اهتداءً ونسبةً ...

ولسانَه الّذي يَدعو به ... خُشوعاً وإخباتاً ...

ويدَه الّتي يرمي بها نحوَ الأعداءِ ... قوّةً وثباتاً ...

﴿ وما رَمَيتَ إذْ رَميتَ ولكنَّ اللّهَ رَمى ﴾ .

الثالثةُ : عندَ الاعتقادِ أنَّ ما أصابَنا بما كسبت أيدينا نسارعُ إلى أنفسِنا ، فنبحثُ فيها عن الثغراتِ فنسدّها ، وعن التصدّعِ فنقيمه ، الأمرُ الّذي يقوي الفئةَ المُؤمنةَ ، ويَشدُّ عضدَها ممّا يَجعلُها أشدَّ قوةً ، وأعظمَ بأساً على أعدائِها .

﴿ وَلَوْ أنَّهم فَعَلُوا ما يُوعَظونَ بهِ لكانَ خيراً لهم ﴾

قالَ الإمامُ السلفيُّ ابنُ القيمِ في « الزادِ » (٣ / ٣١٨) في معرضِ ذكرِه

للدروسِ المُستفادةِ من غزوةِ أُحدٍ : « فمنها تعريفُهم سوءَ عاقبةِ المعصيةِ ، والفْشل ، والتنازع ، وأَنَّ الّذي أصابَهم بشؤمِ ذلكَ ، كما قالَ تعالى : ﴿ ولقد صدَقَكم اللّهُ وعدَه إذ تَحُسُّونَهم بإذنِهِ حتَّى إذا فَشِلْتُم وتنازعتُم في الأمرِ وعصيتمُ من بعدِ ما أراكم ما تُحبونَ ﴾ ؛ فلمّا ذاقوا عاقبةَ معصيتِهم للرَّسولِ وتنازعِهم وفشلِهم كانوا بعدَ ذلكَ أشدَّ حَذَراً ويقظةً وتحرُّزاً من أسبابِ الخذلانِ .

الرّابعةُ : إضعافُ مكانةِ الأعداءِ في نُفوسِ المُسلمينَ ، الأمرُ الّذي يَدفعُنا إلى استصغارِهم والشموخِ عليهم ؛ لأنَّهم إنَّما سُلِّطوا علينا بذنوبِنا ؛ لا بِعُدَّتِهم ، وبضعفِنا ؛ لا بِقوتِهم .

قالَ تعالى عَقِبَ بدرٍ : ﴿ إذ يُريكَهم اللّهُ في منامِكَ قَليلاً ، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ... ﴾ .

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ الّذي يؤمنُ بهذا المَفهومِ :

لا تخشَ كثرتَهم فهم هَمَجُ الـ ... ـوَرى وذُبابه أتخافُ من ذُبّانِ ؟

الخامسة : تعظيمُ اللّهِ في النُّفوسِ ، وأنّه هو المدبِّرُ لكلِّ شيءٍ ، وهو الّذي بيدِهِ كلُّ شيءٍ ،وهو الّذي قدَّرَ علينا هذهِ المَصائبَ بما كسبتَ أيدينا ، وهو الّذي بيدِهِ نصرُنا ... وهزيمةُ أعدائنا ﴿ واللّهُ غالبٌ على أمرِه ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلمونَ ﴾ .

﴿ ذلكَ وأنَّ اللّهَ موهنُ كيدِ الكافرينَ ﴾ .

وذلكَ عندما يكونُ المؤمنونَ أهلاً لذلكَ ، فنزادُ بذلكَ .

السادسةَ : إيماناً ويقيناً بهِ ، وتوكلاً عليهِ .

وإذا حصلَ هذا كانَ :

السابعةُ : ارتفاعُ رُوحِنا المَعنويّةِ .

الأمرانِ اللّذانِ يتعجلُ بهما نصرُ اللّهِ وتمكينُهُ لعبادِهِ الّذينَ يَسيرونَ على منهجِهِ .

• **سلفنا وهذا المَفهوم :**

كانت جماهيرُ الإسلامِ الأُولى جماهيرَ فتحٍ ؛ تنطلقُ متوكلةً على ربِّها ، مستيقنةً منه بنصرِها ، مُستعظمةً ذُنوبَها ، مستهولةً تَقصيرَها ، مُحتقرةً عَدوَّها ، مستصغرةً عُدَدَه وعَددَه .

فلم تَكن تلكَ الجُنودُ المُجندةُ الّتي فتحَ اللّهُ بها البلادَ ، وهدى على أيدِيها العبادَ ، تستعظمُ العدوَّ بشيءٍ مِمّا له .

بل لم تَكن تعلمُ عن عدوِّها إلّا أنَّه جبانٌ رِعديدٌ ، عاصٍ للّهِ ورسولِهِ ﷺ ، معرضٌ عن دينِهِ ، ومَن كانَ هَكذا فجزاؤه الهَزيمةُ والهَوانُ .

لقد كان أشدَّ ما تحذرُ منه تلكَ الجيوشُ المؤمنةُ أن يَقعَ فيها ما وقعَ للمسلمينَ في أُحدٍ وحنينٍ ، فيُصابوا بما أُصيبوا .

لقد كانَ شعارُهم في جهادِهم : إن انتصرنا فبفضلِ اللّهِ ، وإنْ هُزمنا فبذنوبنا وتقصيرنا في حقِّ رَبّنا لا بكثرةِ عدونا وقوتِهِ .

ولذلكَ كانَ الخُلفاءُ الراشدونَ لا يُحذِّرونَ المسلمينَ في قتالِهم من عدوِّهم ، بقدرِ ما يُحذرونَهم من ذُنوبِهم ، ومعاصيهم

والآثارُ في ذلك مُستفيضةٌ مشهورةٌ عنهم .

• **أهل زماننا ... وهذا المفهوم**

ومع هذهِ الأدلةِ البيّنةِ كلِّها ، والبراهينِ الساطعةِ في توضيحِ هذا المَفهومِ الحقِّ ،

لا تَكادُ تسمعُ لهذا المَفهومِ في منهجِ أهلِ زماننا رِكزاً ، ولا تحسُّ من أحدٍ منهم ولو همساً ، بل المتكلمُ فيه – عند فِئاتٍ منهم – متهمٌ ... مُثبّطٌ ... عَميلٌ !!

وتراهم يُعلِّمونَ عن عددِ عدوِّهم وعُدَّتِهِ ، أكثرَ ممّا يَعْلَمُونَ عن ربِّهم ، وعمّا يجبُ عليهم في حقِّهِ ... ومعظمُهم يتوكلونَ على الأسبابِ الماديّةِ ، ويُعلِّقونَ عليها الأملَ ، ويُنيطونَ بها اليقينَ ، أكثرَ من يَقينِهم باللّهِ والتوكلِ عليه ، لذلكَ أصابَهم ما أصابَهم .

• صور عَجيبةٌ من تحليلاتِ اهلِ زماننا للوقائع :

ومن غَريبِ أفعالِ أهلِ زمانِنا وتحليلاتِهم أنَّهم :

إذا شاكتهم شوكةٌ قالوا : « أعداؤنا زرعوها لنا بالطريقِ » !

وإذا خَسروا معركةً قالوا : « دبَّرها أعداءُ اللّهِ » !

وإذا قصّرَ الأطباءُ في مستشفى قالوا : « الماسونيّةُ وراءَ ذلكَ » !

وإذا سقطت عمارةٌ قالوا : « الاستعمارُ خطَّط لذلكَ » !

وإنْ تعجبْ فعجبٌ قولُهم – – وهم يُسوغونَ خُسرانهم لمعركةٍ – : « ليسَ عندَنا صواريخ أرض جو » !

أَو يَقولونَ : « إنَّ الأعداءَ أوقفوا عنا الإمدادَ »[1]!

فهل يُصدّقُ عاقلٌ هذا ؟!

هل يُصدّقُ أنَّ الّذينَ يدعونَهم إلى الهُدى والنورِ إلى الكتابِ والسنةِ ومنهج السلفِ الصالحِ يُتَّهَمُونَ بالعمالةِ والتثبيطِ ؟!

والّذينَ يُعلنونَ على الملأِ أنّهم يأخذونَ السلاحَ من أعدائهم وأنَّ فشلَهم في

(١) لدينا الوثائقُ الّتي تُثبتُ ذلكَ .. لمن شاءَ الاطلاعَ عليها .

المعاركِ كانَ نتيجةَ إيقافِ الدعمِ عنهم هم شرفاءُ ومجاهدونَ !!

• **عبرتان من الأفغان :**

... ولو أنَّ إخواننا الأفغان استعظموا عدوّهم وحسبوا حسابَ قوّتِه إلى قوتِهم ؛ لما كتبَ لهم البقاءُ إلّا أن يشاءَ اللّهُ .

ولو كانوا صفّاً واحداً ، وعلى عقيدةٍ سليمةٍ واحدةٍ ويؤمنونَ بهذا المفهومِ ويعملونَ بموجبِه ، لعجّلَ اللّهُ لهم النصرَ ، وفُتحت الدنيا على أيديهم وأيدي المؤمنينَ الّذينَ معهم ، ولكن كره اللّهُ تفرُّقَهم ، فكانَ ما كانَ ﴿ ولا تَنازعوا فتَفشَلوا ﴾ .

إذن ؛ هل يُقالُ : الأعداءُ لا يُخططونَ ... فلا حذرَ ولا إعداد !؟

كلا - واللّه - إنَّهم ليخططونَ .. وللإسلامِ يَكيدونَ كيداً عظيماً ومكراً خَبيثاً .

﴿ ومكروا مكرَهم وعندَ اللّهِ مكرُهم وإنْ كانَ مكرُهم لتزولَ منه الجبالُ ﴾ .

وإيماناً بهذا المَفهومِ (ما أصابنا بما كسبت أيدينا) لا ينفي كيدَ الكائدينَ .. ولا يحملنا على تركِ الحذرِ ، وإهمالِ الإعدادِ ، بل ينبغي على خاصّةِ طُلابِ العلمِ ، الاطلاعُ على مُخططاتِهم ، والوُقوفُ على كيدِهم ، وتحذير الناسِ من مكرِهم ، وأَخذُ الحيطةِ ، والحذرُ من ذلكَ ؛ عملاً بقولِه تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا خُذوا حِذرَكم ﴾ ، وقولِهِ : ﴿ وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رِباطِ الخيلِ .... ﴾ .

فالإيمانُ بأَنَّ ما أصابنا بما كسبت أيدينا شيءٌ ، وأخذُ الحيطةِ والحذرِ والإعدادُ شيءٌ آخرُ ، وقاعدةُ ذلكَ :

« استصغارُ العدوِّ في النفوسِ ... واستعظامُه في الإعدادِ » .

« والقلبُ للّهِ واليدُ للإعدادِ »

وهذا الفرقُ الدقيقُ لا يدركُه إلّا من تفقّه بالكتابِ والسنةِ على منهجِ سلفِ الأُمةِ ، واللّهُ سبحانَه الّذي يَقولُ : ﴿ ومَكَروا مَكْرَهم وعندَ اللّهِ مكرُهم وإنْ كانَ مكرُهم لتزولَ منه الجبالُ ﴾ هو الّذي قالَ كذلكَ : ﴿ وما كيدُ الكافرينَ إلّا في ضلال ﴾ أي : في هباءٍ وضياعٍ وفشلٍ وتبابٍ ، ولكن متى ... ؟

هل عندما يعلّقُ المسلمونَ قلوبَهم ..بالأسبابِ .. ؟!

أم عندَما يَختلفونَ على المقاعدِ حسب الأنسابِ ؟!

• حكم اللّهِ على من لم يفهم هذا المَفهومَ :

ولقد عابَ اللّهُ عزَّ وجلَّ على من لم يدركْ هذا المَفهومَ ولم يقدر على التوفيقِ بينَ نُصوصِه ، ووصفَهم بالبلادةِ الذهنيّةِ ، وحكمَ عليه بالغباوةِ العقليّةِ ؛ قالَ تعالى : ﴿ وإنْ تُصبْهم حسنةٌ يَقولوا هذهِ من عندِ اللّهِ وإنْ تُصبْهم سيّئةٌ يَقولوا هذهِ من عندِكَ قل كلٌّ من عندِ اللّهِ ، فمالِ هؤلاءِ القومِ لا يَكادونَ يَفقَهونَ حديثاً ما أصابكَ من حسنةٍ فمن اللّهِ وما أصابكَ من سيئةٍ فمن نفسِكَ وأرسلناكَ للناسِ رسولاً وكفى باللّهِ وَكيلاً ﴾ .

وجاءَ لفظُ « سيئة » نكرةً في سياقِ النفي ، فهي تُفيدُ العُموم ، أيْ : أيُّ سيئةٍ كانت صغيرةً أو كبيرةً ... داخليّةً أو خارجيّةً ، حِسيّةً أو معنويّةً .. فإنّما هي من أنفسِنا وبما كسبت أيدينا .

فهل إلى الاعتقادِ بهذا المَفهومِ من سبيلٍ ..؟

وهل إلى العملِ بهِ من طريق .. ؟

واللّهُ الهادي سواءَ الصراطِ .

التطيُّر والتشاؤم

د. محمد بن عبدالرَّحمن الخَميس

إنَّ المُتأملَ في أحوالِ الناسِ ليرى منهم العجبَ العُجابَ ، فكثيرٌ منهم بَلَغُوا من خفَّةِ عقلِهِم وقلةِ علمِهم أنْ شاعت بينَهم أفكارٌ وتصوّراتٌ وأوهامٌ وتخيلاتٌ ، هي في مُجملِها مُتصادمةٌ مع تعاليمِ وإرشاداتِ الإسلامِ .

ومن أهمِّ هذهِ الأفكارِ والتخيلاتِ الفاسدةِ ، ما شاعَ بينَ الناسِ من التطيرِ - وهو التشاؤمُ - بأشياءَ معيَّنةٍ ؛ من أيّامٍ وأشخاصٍ ، أو أسماءٍ أو طُيورٍ ، أو بيوتٍ أو شهورٍ ، وغيرُ ذلكَ ، وهذه بدعةٌ خطيرةٌ من أهمِّ وأخطرِ البدعِ العقديّةِ .

وسوفَ أُقَسِّمُ الكلامَ عنها إلى خمسةِ أقسامٍ :

فالأوّلُ منها : في بيانِ معنى التطيُّرِ ، وأصلُه من الطِّيَرةِ - بكسرِ الطاءِ وفتحِ الياءِ - وهي التشاؤمُ بالشيءِ ، وهي مصدر تطيَّرَ ، وأصلُه أنَّ العربَ كانوا يَتشاءمونَ من طيورٍ مُعيّنةٍ ، كالغرابِ والبومةِ ، ومن بعضِ الحيواناتِ ، ثمَّ صارت تُطْلَقُ على عُمومِ التشاؤمِ ، أياً كانَ المُتشاءَمُ منه .

والثاني : في ذكرِ حُكمِ التطيرِ شرعاً : وردَ في الحديثِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ : « لا عدوى ولا طيرةَ ولا هامةَ ولا صَفرَ ولا غُولَ » أخرجه مسلمٌ .

فهنا نفى النَّبيُّ ﷺ العدوى والطيرةَ - وهي التشاؤمُ - ، والهامةُ - وهي البومةُ - ؛

إذ كانوا يتطيّرونَ بها كذلكَ ، والمَقصودُ بقولِهِ : « ولا صَفرَ » نفيُ ما كانوا عليهِ من التشاؤمِ بشهرِ صفر ، وزعمِ أنَّ البلاءَ والمَصائبَ تنزلُ فيه أَضعافَ ما تنزلُ في غيرِهِ !

والغولُ ؛ جمعُ غيلان ، وهم مردةُ الجنِّ المتشكِّلونَ بأشكالٍ مُختلفةٍ ، وكانوا يَزعمونَ أنَّ الغيلانَ تتراءَى لهم في الصحراءِ ، وتُضلّهم عن الطريقِ لتهلِكهم .

والطيرةُ من الشركِ ؛ لقولِهِ ﷺ : « من ردَّته الطيرةُ عن حاجتِهِ فقد أشركَ » ؛ وهو حديثٌ صحيحٌ ؛ أخرجه أحمدُ والطبرانيُّ ، وذلكَ لأنَّ التطيرَ – وهو التشاؤمُ – برؤيةِ طيرٍ أو إنسانٍ ، أو بدخولِ شهرٍ أو نحوِ ذلكَ فيهِ اعتقادُ أنَّ هذهِ الأشياءَ لها تأثيرٌ سَيِّيءٌ بنفسِها استقلالاً ، وبغيرِ مشيئةِ اللّهِ تعالى ، واعتقادُ أنَّ هذهِ الأشياءَ مخصوصةٌ بشؤمٍ مُعينٍ !

وهذا اعتقادٌ باطلٌ لا أصلَ له في الشرعِ ، بل هو مُخالفٌ للشرعِ ، كما أنَّ الطيرةَ تؤثرُ على مُواقعِها ، فينساقُ لها ، فيما يأتي ويذرُ ، فلذلكَ كانت الطيرةُ من الشركِ .

ولقد أحسنَ من قالَ :

لعمركَ ما تدري الطوارقُ بالحصى ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللّهُ صانعُ

الثالثُ : في ذكرِ صورٍ من التطيرِ الواقعِ عندَ كَثيرٍ من الناسِ في زماننا ، وهو امتدادٌ لما كانَ موجوداً في الأزمنةِ السابقةِ .

فمن هذهِ الصورِ : التشاؤمُ بالغرابِ ، بزعمِ أنَّه نحسٌ ومُؤْذِنٌ بالخرابِ والفراقِ والموتِ ، ولا سيَّما إذا نعقَ عندَ خروجِ الإنسانِ من بيتِهِ ، أو غيرِ ذلكَ !

وكذلكَ التشاؤمُ بالبومةِ ، واعتقادُ أنَّ اقترابَها من البيتِ دليلٌ على موتِ بعضِ أهلِهِ ، وهكذا !

ومن هذهِ الصورِ : التشاؤمُ بدارٍ مُعيّنةٍ ، وأنَّها تجلبُ الفقرَ والنحسَ والخرابَ !

ومنها : التشاؤمُ بشهرٍ مُعينٍ ، كشهرِ صفر ، وأنَّه يُضاعَفُ فيهِ البلاءُ ، ولهذا فهم لا يتزوَّجونَ أثناءَه ولا يُسافرونَ !

وهكذا يتشاءَمُ البعضُ من شهرِ شوال أو ذي القعدةِ ، فلا يتزوَّجونَ فيها بدعوى أنَّ الشهرَ واقعٌ بينَ عيدينِ ، أو أنَّه يحدثُ فيهِ كذا وكذا ... إلخ

ومنهم من يتشاءمُ بشهرِ محرَّمٍ ، بزعمِ أنَّه قُتلَ فيهِ الحسينُ رضي اللّهُ عنه ، فلا زواجَ

فيه ولا نكاحَ ، وغير ذلكَ من التُّرهَّاتِ !!

ومنها : التشاؤمُ بشخصٍ مُعينٍ ، واعتقادُ أنّه نحسٌ ، وأنَّ رؤيتَه ومُقابلتَه تجلبُ الخرابَ ،ولا سيّما إذا كانَ أعورَ أو مجذوماً أو غيرَ ذلكَ .

ومنها : التشاؤمُ بيومٍ مُعينٍ ! كيومِ الأربعاءِ !!

ومن العجيبِ أنَّ السفهَ بلغَ ببعضِ الناسَ أنَّهم يتشاءَمونَ بيومِ الجُمعةِ ، رغمَ أنَّه خيرُ يومٍ طلعت عليهِ الشمسُ ؛ بل هو أكثرُ الأيّامِ بركةً ، وكذلكَ يتشاءَمونَ بأيامِ الشهرِ الّتي تُعدُّ بالأُصبعِ الأوسطِ وهي الثالثُ والثامنُ والثالثَ والثامن عشرَ والثالثُ والثامنُ والعشرونَ !!

ومنها التشاؤمُ بعددٍ مُعينٍ كرقمِ ١٣ مثلاً ، فلا يُسافرُ ، ولا يشتري شيئاً في اليومِ الثالثِ عشرَ ، ولا يسكنُ في منزلٍ برقمِ ١٣ ، ولا يفعلُ شيئاً له علاقةٌ برقم ١٣ من قَريبٍ أو بعيدٍ ، وهذهِ عقيدةٌ نصرانيّةٌ فاسدةٌ ، لها صلةٌ بحادثةِ الصَّلبِ المشهورةِ عندَهم !!

ومنها : التشاؤمُ باسمٍ مُعينٍ ! ومن السَّخفِ أنَّ ناساً يتشاءَمونَ من أسماءٍ فاضلةٍ مثل عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وغيرِ ذلكَ ، فلا يُسَمُّونَ بها ولا يستبشرونَ إذا قابَلوا شخصاً بهذا الاسمِ ! ولعلَّ هذا من عَقائِدِ الرَّوافضِ والنواصبِ معاً !!

ومنها : التشاؤمُ بأمكنةٍ معيَّنةٍ ، وجهاتٍ مُعيَّنةٍ ، وألوانٍ مُعيَّنةٍ كالسوادِ ، ورَغم أنّه إشارةٌ إلى الموتِ .

وغيرِ ذلكَ من صورِ التشاؤمِ الشائعةِ بينَ الناسِ ، والتي تدلُّ على مبلغِ بُعدِهم عن حقيقةِ الإيمانِ ، وعن نورِ اليقينِ ، وعن العلمِ النافعِ ، ومدى غلبةِ الجهلِ والهَوى عليهم .

الرابع : في ذكرِ التوفيقِ بينَ الأدلةِ في هذا البابِ ، لأنَّ هذه الأدلةَ على نوعينِ :

أولهما : أدلةٌ تنفي التطيرَ والتشاؤمَ مطلقاً ، ومنها قولُه ﷺ : « لا عدوى ولا طيرةَ ولا هامةَ ولا صفرَ ،لا غولَ » ، وقولُه ﷺ : « لا ينالُ الدرجاتِ العُلى من تكهّنَ أو استقسمَ أو رجعَ من سفرٍ تطيّراً » أخرجه تمّامٌ والطبرانيُّ - كما في « سلسلةِ الأحاديثِ الصحيحةِ » (٢١٦١) ، وقوله : « الطيرةُ شركٌ » أخرجه أبو داودَ والترمذيُّ ، وغير ذلكَ من الأحاديثِ والآثارِ في البابِ .

ثانيها : أحاديثُ قد يُفْهَمُ منها وُجودُ الشؤمِ في بعضِ الأشياءِ ، وذلكَ في مثلِ قولِهِ ﷺ : « إنْ كانَ الشؤمُ في شيءٍ ففي الدارِ والمرأةِ و والفرسِ » متفقٌ عليهِ ، وما في معناه .

فللتَّوفيقِ بينَ هذهِ الأحاديثِ أقولُ - واللّهُ أعلمُ - : إنَّ المَقصودَ من الأحاديثِ الّتي في القسمِ الأولِ نفيُ التطيرِ بمعنى نفي وإبطالِ ما كانَ عليه الناسُ قديماً ، وما زالَ عليه طوائفُ منهم ، ومن التطيرِ بما ذكرَ من اسمِ شخصٍ ، أو طيرٍ أو حيوانٍ ، أو مكانٍ أو يومٍ ، أو شهرٍ ، أو غيرِ ذلكَ ، وبيانُ أنَّ هذهِ الأشياءَ لا تأثيرَ لها ، وليست دليلاً على وُجودِ الشؤمِ والنحسِ حقاً ، ولا يَجوزُ أن يتخذَها الإنسانُ معتمداً لما يفعلُ أو يتركُ ، فكلُّ هذا يُنافي التوحيدَ الَّذي أمرَ اللّهُ تعالى بهِ ، ويُنافي اعتقادَ أنْ لا تأثيرَ لشيءٍ بغيرِ إذنِ اللّهِ تعالى .

وأمّا الأدلةُ في القسمِ الثاني كحديثِ : « إنْ كانَ الشؤمُ في شيءٍ ..... » فهذا الحديثُ لم يُثْبِت وُجودَ الشؤمِ ، فلا يُعَدُّ مُختلفاً مع ما قبلَه ، ولكن يُفهمُ منه أنّه إذا وجدَ الشؤمُ فرضاً ، فإنَّه في هذهِ الثلاثِ .

ثمَّ إنَّ الشؤمَ المَقصودَ في الحديثِ ليسَ هو ما يقصدهُ الناسُ ويفهمونَه ويقعونَ فيهِ ، وإنَّما المُرادُ بِشؤمِ الدارِ ما يُشيرُ إلى ضيقِها ، وكثرةِ متاعبِ أهلِها فيها ، والمُرادُ بشؤمِ المرأةِ أنْ تَكونَ سيئةَ الخُلُقِ ، سليطةَ اللّسانِ ، مؤذيةً لزوجِها ، مُتلفةً لمالِهِ ، فهذا هو شؤمُ المرأةِ ، وشؤمُ الفرسِ أن لا يحملَ عليها في سبيلِ اللّهِ ، وأن يفتخرَ بها صاحبُها ، وأن تُلهيَه عن طاعةِ اللّهِ ، فهذا هو الشؤمُ المُتَصوَّرُ من هذه الثلاثِ .

وأمّا الشؤمُ بمعنى ما يفهمُه الناسُ من وُجودِ خاصيّةٍ مُعيّنةٍ في شيءٍ ما ، أو سمةٍ فيهِ ، فلا طيرةَ في ذلكَ ولا شكَّ .

هذا هو التوفيقُ بينَ الأدلةِ في البابِ ، والعلمُ عندَ اللّهِ تعالى .

الخامسُ : كيفيةُ التغلُّبِ على هذهِ الآفةِ والتخلصِ منها :

ولا يَكونُ ذلكَ ، ولا يتحققُ إلّا بعدةِ عواملَ ؛ أُوْجِزُها فيما يلي :

١ - الفهم الصحيحُ ، والإيمانُ الجازمُ بأنَّ اللّهَ تعالى هو الّذي بيدِهِ مُلْكُ كلِّ شيءٍ ، وأنْ لا أثرَ لشيءٍ بغيرِ إذنِهِ ، وأنَّه تعالى لم يَجعل في مجرَّدِ الاسمِ ، أو في مجرَّدِ الرَّقمِ خصيصةً تُحدِثُ تأثيراً يستوجبُ اجتنابَها .

٢ – العلمُ بما وردَ عن النَّبيِّ ﷺ من النهي عن الطيرةِ ، ونفيها ، والتحذيرِ منها والتغليظِ من شأنِها ، ومنها قولُه ﷺ : « من ردّته الطيرةُ عن حاجتِهِ فقد أشركَ » ، وقولُه : « الطيرةُ شركٌ » ، وقولُه : « لا عدوى ولا طيرةَ » .

وكذلكَ علمُ الشخصِ بالثوابِ الجَزيلِ المُترتبِ على عدمِ التطيرِ ، كما في حديثِ السبعينَ ألفاً الّذينَ يَدخلونَ الجنّةَ بغيرِ حسابٍ : « هم الّذينَ لا يسترقونَ ولا يَكتوونَ ولا يتطيّرونَ ، وعلى ربِّهم يتوكّلونَ » أخرجه مسلمٌ وغيرُهُ ، فإذا فهم الإنسانُ ذلكَ ، وعرفَ خُطورةَ هذا الأمرِ ، وثوابَ التباعدِ عنه ، اجتنبَه ولا شكَّ .

٣ – إحسانُ التوكلِ على اللّهِ تعالى ، فإنَّ هذا التوكلَ يَقْضي على التطيرِ والتشاؤمِ .

٤ – أن يقولَ المرءُ : « اللّهمَّ لا خيرَ إلّا خيرُك ، ولا طيرَ إلّا طيرُكَ ، ولا إلهَ غيرُكَ » أخرجه أحمدُ وغيرُهُ .

٥ – أن يُقْدِمَ الإنسانُ على الشيءِ ممّا أرادَه ثقةً باللّهِ تعالى وتوكُّلاً عليهِ ، ويقيناً بأنَّ لن يَكونَ هناكَ شؤمٌ أو غيرُه .

فهذهِ العواملُ ممّا يُعينُ على التخلُّصِ من هذهِ العادةِ الذميمةِ المُتناقضةِ مع التوكلِ على اللّهِ تعالى ، وعسى أن يَكون ذلكَ إصلاحاً لعقائدِ المُسلمينَ ، ولسلوكِهم ،وتنقيةً لعقائدِهم من الشوائبِ والخُرافاتِ ، واللّه الهادي إلى سواءِ السَّبيلِ .

كُلُّكم راعٍ ...

سليم الهلالي

المرادُ من الحُكمِ حياطةُ الشريعةِ بإقامةِ الحدودِ والعدلِ ، ورعايةُ شؤونِ الرَّعيّةِ ، وإيصالُهم حقوقَهم ، وكلُّ ذلكَ مضمونٌ مَصُونٌ في دينِ اللّهِ .

ولذلكَ فمن الفرائضِ المُقرِّبةِ إلى اللّهِ رعايةُ الرّاعي في رعيّتِهِ ، سواءٌ أكانت رعيةً عامةً كالإمامِ الأعظمِ ، أو خاصةً كرعايةِ آحادِ النّاسِ في أهلِهِ وولدِهِ وحفظِ ما استرعاه اللّهُ ؛ لأنَّ معنى الحاكميّةِ في كلامِ اللّهِ ورسولِهِ أوسعُ دائرةً ممّا يظنّه بعضُ العوامِّ - أو أَنصافُ المُثقَّفين - في أنَّها تختصُّ بالحُكّامِ ، بل إنَّها تتعدّى إلى آحادِ الناسِ ، وهذا مابيّنه رسولُ اللّهِ ﷺ ، كما في حديثِ ابنِ عمرَ رضي اللّهُ عنهما أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ أنَّهُ قالَ :

« ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّتِهِ ؛ فالإمامُ الأعظمُ الّذي على الناسِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّتِهِ ، والرجلُ راعٍ على أَهلِ بيتِهِ ، وهو مسؤُولٌ عن رعيَّته ، والمرأَةُ راعيةٌ على أَهل بيت زوجها وولده ، وهي مسؤولةٌ عنه ، وعبدُ الرجل راعٍ على مالِ سيِّده ، وهو مسؤولٌ عنه ، أَلَا فكلُّكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّته »[١]

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٣ / ١١١ - فتح) ، ومسلمٌ (١٨٢٩) .

فمن عدلَ فيمن اسْتَرْعاهُ اللَّهُ وحَكَمَ فيهِ بما أنزلَ اللّهُ فقد أنقذَ نفسَه ، ومَن غيَّرَ أو بدَّلَ فلا يلومنَّ إلّا نفسَه .

وعنه أيضاً – رضي اللّه عنه – أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « إنَّ المُقسِطينَ عندَ اللّهِ على منابرَ من نورٍ على يَمينِ الرَّحمنِ ، وكلتا يديهِ يمينٌ ، الّذينَ يَعدلونَ في حُكمِهِم وأهليهم وما وُلُّوا .

وعليه ؛ فإنَّ الوعيدَ أو الوصفَ الّذي ذكرَه اللّهُ فيمن لم يَحكم بما أنزلَ اللّهُ ، يشملُ جميعَ مَن استرعاهُ أمراً وقامَ عليهِ بغيرِ ما أنزلَ اللّهُ ، سواءٌ أكانَ إماماً أو مِن آحادِ الناسِ ، أو مَنْ لم يَرْضَ بالحكمِ بما أنزلَ اللّهُ ؛ سواءٌ أكانَ حاكماً أو محكوماً ، وعلى ذلكَ شواهدُ في القرآنِ ، كقولِهِ تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحكمْ بما أنزلَ اللّهُ فأُولئكَ هم الكافرونَ ﴾ و ﴿ .. الظالمونَ ﴾ و ﴿ .. الفاسقونَ ﴾ ؛ لأنَّ ﴿ مَنْ ﴾ موصولةٌ بمعنى الّذي ، وهذا يشملُ جميعَ التاركينَ للحُكمِ بما أنزلَ اللّهُ لا فرقَ .

وقولُه تعالى : ﴿ فلا وربِّكَ لا يُؤمنونَ حتّى يُحكِّموكَ فيما شجرَ بينَهم ثمَّ لا يَجدوا في أنفسِهم حَرَجاً ممّا قضيتَ ويُسلِّموا تسليماً ﴾ .

والخطابُ عامٌّ للأُمةِ جميعها .

وينبني على ذلكَ أُمورٌ :

١ – أنَّ المسؤوليّةَ في الشريعةِ الإسلاميّةِ لا تُناطُ بفردٍ بذاتِهِ ، بل هي تتوزّعُ على الأُمةِ .

٢ – إذا عطّلَ الإمامُ الأعظمُ مسؤوليّةً وظلمَ رعيّتَه فلا ينبغي أن تتعطّلَ المسؤوليّاتُ الّتي دونَه ، فكلٌّ مؤاخذٌ بذنبِهِ .

ولذلكَ ؛ فإنَّ قولَ بعضِ الزّاعمينَ أن لا قوامةَ للرَّجلِ على أهلِ بيتِهِ في ظلِّ غيابِ الدولةِ الإسلاميّةِ – فتراه لا يأمرُ زوجتَهُ بالجلبابِ الشرعيِّ ولا يضربُ أولادَهُ على الصلاةِ ! – لا زمامَ له ولا خطامَ !!

٣ - كلُّ فردٍ في الأُمةِ على ثغرةٍ مِن الإسلامِ فلا يؤتى الإسلامُ من قِبَلِهِ ، وهذا لا يَعني أنَّ المسؤوليّاتِ سواءٌ ، ولكن كلّما عَظُمَ الموقعُ عَظُمت المسؤليّةُ ، فمسؤوليّةُ الإمامِ أعظمُ المسؤليّاتِ، ثمَّ تتدرَّجُ حتى تصلَ إلى مسؤوليةِ عبدِ الرَّجلِ في مالِ سيدِهِ .

٤ - إذا عطَّلت الرَّعيّةُ مسؤوليّاتِها ظهرت أفعالُها في صُورِ ولاتِهم وحُكَّامِهم ، كما قالَ العلامةُ ابنُ قيّمِ الجوزيّةِ في « مفتاحِ دارِ السعادةِ » (١ / ٢٥٣ - ٢٥٤) :

وتأمّلْ حكمتَه تعالى في أنْ جعلَ ملوكَ العبادِ وأُمراءَهم وولاتِهم في جنسِ أعمالِم ، بل كأنَّ أعمالَهم ظهرت في صورِ ولاتِهم وملوكِهم ، فإنْ استقامُوا استقامت ملوكُهم وإنْ عدلوا عدلت عليهم ، وإنْ جاروا جارت ملوكُهم وُولاتُهم ، وإنْ ظهرَ فيهم المكرُ والخديعةُ فولاتُهم كذلكَ ، وإنْ مَنَعوا حقوقَ اللّهِ لديهم وبخلوا بها منعت ملوكُهم وولاتُهم ما لَهم عندَهم من الحقِّ وبخلوا بها عليهم ، وإنْ أخذوا ممن يستضعفونَ ما لا يستحقونه في معاملتِهم أخذت الملوكُ ما لا يستحقونَه وضَرَبَتْ عليهم المُكوسَ والوظائفَ .

وكلُّ ما يستخرجونَه من الضعيفِ يستخرجه الملوكُ منهم بالقوةِ ؛ فَعُمّالُهم ظهرت في صورِ أعمالِهم ، وليسَ في الحكمةِ الإلهيةِ أن يُوَلّيَ على الأشرارِ الفُجّارِ إلّا مَنْ يَكونُ من جنسِهم ، ولمّا كانَ الصدرُ الأوّلُ خيارَ القرونِ وأبرَّها كانت ولاتُهم كذلكَ ، فلمّا شابوا شابَتْ لهم الولاةُ ، فحكمةُ اللّهِ تأبى أن يوليَ علينا في مثلِ هذا الزمان مثلَ معاويةَ وعمرَ بنِ عبدِالعزيزِ فضلاً عن مثلِ أبي بكرٍ وعُمرَ ، بل وُلاتُنا على قَدْرِنا ، وولاةُ مَنْ قَبلنا على قَدْرِهم ، وكلٌّ مِن الأمرينِ مُوجِبُ الحكمةِ ومُقتاضاها » .

نَظرةٌ فاحصةٌ في البنوكِ الإسلاميةِ !!

محمد شقرة

إنَّ المشاركةَ بالرأي - العاري من الهوى أو الرَّغبةِ في الإثارةِ أخذاً وردّاً على غير بيِّنةٍ - أمرٌ لا ينبغي المحيدُ عنه ؛ تصويباً لخطأٍ ولو استقرَّ وثبتَ في الناسِ ، أو تقويماً لعوجٍ لو صارَ في حكمِ المُستقيمِ عندَهم !

فكثيرٌ من الناسِ هم أُولئكَ الّذينَ يَظنونَ أنَّ في وسعِ عُلماءِ كلِّ فنٍ أو نظامٍ ، وضعَ نظرياتٍ جديدةٍ ، يَجمعونَ فيها بينَ الشتيتِ المُتناثرِ من نظرياتِ الاقتصادِ الوضعيّةِ ، وبينَ نظريةِ الإسلامِ الاقتصاديّةِ المُصاغةِ بوحيِ السماءِ ، إذ لا يُمكنُ بحالٍ تجاهلُ حقيقةٍ تمشي على الأرضِ ، وهي أنَّ النظامَ الرأسمالي ، هو النظامُ المُهيمنُ على العالمِ بأسرِهِ بلا مُنازعٍ ، ولم يعد على الأرضِ نظامٌ ينازعُهُ - من حيثُ وُجودُهُ - إطلاقاً ، فقد غابَ النظامُ الاشتراكيُّ غيبةَ النظامِ الإسلاميّ من قبل ، ولا يُرتجى لأحدِ النِّظامين أن يَعودَ إلى منازعةِ النظامِ الرّأسماليّ ، إلّا بقوةٍ حاميةٍ له ، رادعةٍ للأطماعِ الرأسماليّةِ النَّهمةِ المُتلاحقةِ .

وممّا لا ريبَ فيهِ أنَّ النظامَ الاقتصاديَّ الإسلاميَّ ليسَ في وسعِهِ - اليومَ - إلّا الظهورُ النظريّ العلميّ أمامَ غولِ النظامِ الرّأسماليّ ؛ فهو يدرَّسُ في الجامعاتِ ،

والمَعاهدِ المُتخصصةِ ، و (الاكاديميّاتِ) الغربيّةِ ، دراسةً مُقارنةً ، ولربَّما نتيجةَ القناعةِ العلميّةِ المتحصّلةِ من تلكَ الدراسةِ - كان حُكمُ عُلماءِ النظامِ الرَّأسماليّ حُكماً مُقسطاً لا يحملُهم على النَّصِفةِ والانتصارِ للنظامِ الإسلاميِّ فقط ، بل رُبَّما وَجدوا فيهِ غُنيةً لهم عن الاستقصاءِ في البحثِ ، لصياغةِ قواعدَ أو نظمٍ جُزئيّةٍ ، يستمدُّونها من الواقعِ المُضطربِ الحائرِ ، بينَ الحينِ والآخرِ ، لتلافي نقصٍ في النظامِ الاقتصادي ، أو إدخالِ تعديلٍ على بعضِ مسائلِهِ ، أو إخراجِ بعضِها لعدمِ ملاءَمتِها لمُقتضياتِ الحالَ !

وهذه مزيّةٌ من مَزايا النظامِ الإسلاميّ ، وهي الاستقرارُ والثباتُ ، والمُواءَمةُ لكلِّ حالٍ ولكلِّ زَمانٍ ولكلِّ مكانٍ .

وليسَ يجوزُ بحالٍ أن نضعَ النظامَ الاقتصاديَّ الإسلاميَّ في مختبرِ التجاربِ الإنسانيّةِ ، نقبلُ منه ونردُّ حَسْبَ ما يقتضيهُ حالُ العصرِ ، وهو الّذي أسبغَ على الدنيا الراحةَ والسكينةَ والاستقرارَ .

ولم يفطن المسلمونَ أنَّ الكفّارَ لا يُريدونَ لهم إلّا الشرَّ ، بزحزحتِهم عن الإسلامِ ، أو بزحزحةِ الإسلامِ عنهم ، ولعلَّ مَن صاغَ هيكلَ البنوكِ الإسلاميَّةِ فاته أن يضع في حسبانه أنَّ المتغيرات الحياتية العالمية لا يستطاع مجاراتها إحداثاً واستغناء ، وأنَّ هذه المتغيرات - لفداحةِ انحرافها - سوف لا يستطيع جهابذةُ العلماء الوقوفَ أمامها ، بالتلفيق والمزج بين الأنظمة المتباينة في أصولها !!

لذا ؛ فقد كان حقاً على باني فكرة البنوك الإسلاميَّة - وهو يضع التصور الشامل للبنوك الإسلامية - أَنْ يسأل نفسه ألف مرَّة ومرَّة : هل ستكون هذه البنوك الإسلامية ، بمنجاة من عقول النظام الرأسمالي ، ولو إلى حين ؟ وكان حقّاً عليه - أَيضاً - أن يُجري (تقييماً) دقيقاً لممارسات البنوك الإسلامية ، بعد سنةٍ أو سنتين من إنشاءِ أول بنك منها ، ليكون - من بعدُ - (التقويم) أيسر وأصوب وأسرع ، أمّا الآن ، فأَحسب ، أنَّ التقويم - فضلاً عن (التعديل) - إنْ لم يكن مستحيلاً فهو في

أعلى درجات الصعب ! وكما يقال : لقد فات الفوت ، فقد أرست البنوك مراسيها ، وحملت ظهورها وأجواءَها ما حملت ، وجفَّت مآقيها ، فأنَّى يكون التدارك ، والتقويم ، والتصويب !!

لكنْ ، لا بدَّ من الإدلاء بدلوٍ من دِلاءِ الرأي ، وقد أضحى الرأي يباع ويشترى !! لكننا نضعه بين يدي إخواننا المسلمين ، وبخاصة القائمين على البنوك الإسلامية بكل فئاتهم ، لا نريد منهم جزاءً ولا شكوراً ، اللهم إلّا أن تكون دعوة صالحةٌ بظهر الغيب نرجوها ؛ دأبَ المسلمين بعضهم مع بعض .

وأُحبُّ هنا أن أعرض المساراتِ الماليةَ الثلاثةَ التي تجري فيها المعاملات المالية في البنوك الإسلامية عرضاً إجمالياً ، يتبيَّن منه الخطيئات الكبيرة التي جثت على عتبات هذه البنوك ، وتعالت صيحاتها في غير إشفاقٍ على الأمَّة ولا رحمة بها ، ولكأنَّما صار لازماً على الأمة أن تُصيخَ السمع لها ، راضية مرضية !!

وهذه المسارات ثلاثةٌ : (المضاربة) و (الشركة المتناقصة) و (المرابحة) :

أما المضاربة ، فهي غائبةٌ بوجهها المشروع عن علم البنوك الإسلامية ، إلّا ما لا نعلم منها ، فالبنوك تعلم أنَّها بشركة المضاربة لا بد وأنْ تخضع لقاعدة : (الغُنم بالغُرم) ، وهي تريد أن تستبدل ذلكَ لِتُصْبِحَ (الغُنم بالغُنم) !! ، لا تريد ذلك مِن رفضٍ لهذه القاعدة الشرعية ، وإباءٍ لها ، واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى !! وإلَّا فما تأسست البنوك الإسلامية ، ولا وُجدت على - حسب ظنِّ صانعيها - للتخلُّص من الربا ، ومن هنا كان الشعار الذي اتخذته ﴿ وأحلَّ اللَّه البيع وحرَّم الربا ﴾ ، وإن أخطأها التوفيق في تمثُّل هذا الشعار - واقعاً عمليّاً - فلا أقلَّ من أن تعيد النظر فيه ، لئلا تمكث على مقامها الأثيم ، فتكون قد أخذت نفسها ولو بحظٍّ من حديث النفس أن تكون يوماً على أُهبةٍ حريصةٍ للخلاص من قيدٍ أو قيودٍ أوثقت نفسها إليها ، وصارت أسيرة حلقاتها ، حتى إنَّه لا يكاد يوم يمرّ بها ، إلّا وتزداد إقبالاً ورغبةً فيها وعليها ، فقد استمرأت تلك المكاسب وسهّلتها ، حتى لكأنَّها ما كانت ،

ولا بُنيت ، ولا ولدت إلّا لتضاهي البنوك الاستثمارية الرأسمالية ! يُضاهئون بها كسب الذين كتبوا على أنفسهم أن يكون كسبُهم كلُّه سُحتاً مَحْضاً .

بل إنَّ الإثم الذي يجترحه الراعون هذه البنوك ، بما يحسبون فيه أنَّهم على حلال صِرْفٍ ، أعظم من إثم الذين يسفكون دم الحلال ، وهم غارقون في جهالتهم الآسنة ، إذ المسلم لا يحيا إلّا بدينه ، وفي دينه ، ولدينه ، فيجب أن يكون على فقهٍ تامٍّ وافرٍ واضحٍ مبين في دينه ، يحول بينه وبين المخالفة الخفية ، فضلاً عن الظاهرة منها .

فلما لم يجد القائمون على البنوك الإسلامية مفرّاً من الكسب السُحت - وهذا أمر مفروغ منه ابتداء - كما هم يعلمون جيّداً - وكان يجب عليهم أن يفطنوا إليه من أوّل يوم أُنشيء فيه أوّل بنك - صاروا يلتمسون الحيل - أَو زلّات بعض الفُقهاءِ - لتحليل الحرام ، ثم صارت هذه الحيل أسساً للمعاملات البنكية ، وسميت بالإسلامية ! وصارت على درجة من القبول المؤكد ، الذي يُرفض معه حتى ما يُمكن أن يُحْكَمَ عليه بالمباح !

وقد أوضح هذا بكل صراحة بعضُ مُنَظِّري البنوك الإسلاميَّة حيث قال : « وتمَّ استخدام المرابحة في تبرير كل العمليات المصرفية بعد ذلك ، بل لِتَحْقِيق أرباحٍ كبيرة ، تفوق سعر الفائدة بكثير » ! ثم قال : « **وإنَّ المرابحة تعتبر أكبر حلٍّ إجراميٍّ في التاريخ الإسلامي ، فهي سعر فائدة ولكنَّه مضمون** » !!!

وهنا أسأل هذا المُنَظِّرَ الخبير : هل كلامه هذا جاءَ بعدَ قناعته من التجربة التي خاضتها البنوك الإسلامية فحكم على المرابحة هذا الحكم الصارخ ؟ أم أنَّه لم يكن على علم - وهو مَن هو في (فقه) البنوك الإسلامية - بهذا المسار المالي في مُعاملات البنوك ؟

فإن كان الأول : فعذره أن حكم بيع المرابحة كان خافياً عليه ، مع أنَّ هذا ليس عذراً يُقْبَلُ من مثله .

أما إن كان الثاني - وهو فيه ولا بدَّ يعلم الحكم الشرعي في مرابحة هذه البنوك - فإنَّه لا يُعذر البتَّة ، وكان عليه - وإن علم فيما بعد ما أُحدثت هذه البنوكُ - أن يتبرّأ منها فوراً ، ويعلن على الملأ أنَّ صنيع هذه البنوك صنيع الخطَّائين ! وإلّا فهو شريك مضارب لَهم في هذا الإثم !!!

ولا ريب أنَّ انتقال العقليات المصرفية ، من البنوك (غير الإسلامية !!) إلى البنوك (الإسلامية !) إنَّما يعني : انتقال الفكر الرأسمالي بحذافيره (من ، إلى) ولسوف يظهر هذا بجلاء مع الأيَّام ؛ بل إنَّه ظهر فعلاً وبكل وضوح ؛ فأين يذهب المُتَظّرون - والمشاركون ، والعاملون ، والمؤسسون وهذه البنوك ؟! ..

وهذا ما يعنيه هذا الخبير بقوله الآخَرِ : « إنَّ المصارف الإسلامية بسبب رغبتها في سرعة تحقيق هذه الأهداف الخاصة والسياسية ، قامت بشراء خبرات مصرفية ، من البنوك الأخرى بمرتَّبات وأجور عالية جداً ، ومعنى هذا انتقالُ عقلية المصرفيّ في البنك التجاري العادي إلى المصرف الإسلامي ، لدرجة أنَّ رؤساء بعض المصارف الإسلامية سألوني : « كيف نعمل بدون سعر الفائدة ؟ » !!!

إنَّها العقوبة الدنيوية العاجلة ، « تحوُّل البنوك الإسلامية من الحلال المُستخفي إلى الحرام الصريح » ، فيكونُ بها هذا التمزُّق الوجداني ، والأرق النفسي ، والتحيُّر العقلي ، الَّذي يَدُبُّ في فزع متفرقٍ تارة ، ومجتمع تارةً ، ثم يحومُ ذلك كلُّه تارةً أخرى حولَ الذين سلَّموا أموالهم - سواءٌ المكثرون منهم والمُقِلُّون الأتقياء - لتحطم فيهم الثقة بكل عمل أو شيء ينسب إلى الإسلام فيما بعد ، فيضلّوا في ضحضاح تقواهم ، يتقلّبون على جمر الحسرات ، والآهات ، وسويداوية الظنون المُطْبِقة بشدّتها على فوات ما فات .

أما عقوبة الآخرة ، فإنَّ لكل من أعان ولو بشطر كلمةٍ خطأً قد يكبر أَو يصغر ، كلٌّ بحسب ما أُتي ، إلّا ما نرجو من إدراك رحمة اللّه سبحانه .

وعقد بيع المرابحة بالطريقة التي تسلكها البنوك الإسلامية - التي حَذَّرَ منها

نُجراءُ البنوك الإسلامية – محاذيره الشرعية كثيرةٌ :

فأوَّلاً : عقد المرابحة يبدأ من طرف المشتري لا من طرف البائع ، ويكون عَرْضاً من المشتري على وسيطٍ بينه وبين صاحب السلعة (البائع) ؛ تيسيراً عليه ، كأن يقول المشتري للوسيط : أحضر او اشتر لي السلعة (كذا) وأُرْبِحُك (كذا) ، وللوسيط أن يقبل أو لا يقبل ما يعرضه عليه راغبُ الشراء ، وليس من بأسٍ أن يكون تحديد الأجر ابتداءً من الوسيط ، ولا يكون البائع على علم بما تَمَّ بين الوسيط وبين راغب الشراء ، والعقد يتم – بَعْدُ – بين الوسيط وبين البائع بالأجر الذي تمَّ الاتفاقُ عليه بين راغب الشراء وبين الوسيط ، والربحُ المتفق عليه بينهما لا يخضع للزمن ، لا طولاً ولا قِصَراً ، فهو مقدَّر مبتوت فيه قبل إحضار (المبيع) لراغب الشراء ،كما إنَّه لا يكون نسبةً مئوية بقيمة ما يَشْري ؛ فإن كان جاء مُطابقاً للأوصاف أخذه ، ووفَّى الوسيطُ الثمنَ بما أربحه إيَّاه ، وإلّا انفكَّ العَقْدُ وانقطع حبله بينهما .

ومهمٌّ جداً أن نلحظ : أنَّ الوسيط لا يكون بائعاً ، وإلّا كان العقد هنا ، (عقدَيْن في عقد) ، وقد نهى الشارع الحكيم عن بيع وسلف وعن عقد وشرط ، إلّا أن يكون مأذوناً به شرعاً ، ونهى عن بيعتين في بيعة ، وله صورٌ عدَّة ليس هذا مجال ذكرها .

وهنا : إن كان الوسيط وعقد المرابحة بائعاً ، فعقد باطل .

والمرابحة التي تُجريها البنوك الإسلامية ، هي الوسيط والبائع فيها ، وليس يرفع الوِزْرَ عنها قولُها لمريد الشراء : اذهب واتَّفق أَنت مع التاجر !! وليس أدلَّ على هذا من أنَّ البنك لا يدفع المبلغ (للمقترض) ! ولنسمِّه هنا باسمه إذ هو اسمه حقيقةً (وكلُّ قرض جرَّ نفعاً فهو رباً) إلّا بعد أن يُعلمَه بما يسمِّيه (البنك) ربحاً .

والربح يخضع لأمرين : المدة التي سيُوفِّي فيها المقترضُ الدينَ ، والمقدار الذي يريده المقترض ، يتمُّ هذا كلّه بين الراغب في الشراء (المقترض) ، وبين البنك (المُقْرض) ، فانظر إلى فداحة المُخالفةِ في هذه المرابحة ، التي هي في حقيقتها :

(قرض - وعقد بيع بين المُقْرِض والمقترض - ثم عقدٌ صوريٌّ شكليٌّ بين المقترض وبين التاجر) .

وهناك مخالفةٌ سيئة ؛ أخرى وهي كذب التاجر الذي يبيع السلعةَ ، إذ يُطلب منه أن يكتب الثمن الذي يبيع هو به السلعة ، في حين أنَّ السلعة تم العقد عليها بين راغب الشراء (المقترض) وبين الوسيط البنك (المقرض) بثمنٍ أعلى من الذي دوَّنه التاجرُ في فاتورة البيع .

إذاً ؛ فالعقد الذي تم على هذا النحو عقد مغمورٌ بالمخالفات الشرعية ، فهل لنا أن نسمع من البنوك الإسلامية - صراحةً - أنَّ ما يستوفيه من (زبائنه) المَدينين إنَّما هو فائدةٌ ربويّةٌ ، مُتدثِّرةٌ بثوب المرابحة ؟! وهذه مُتقبِّبةٌ بقباءِ ﴿ أحلَّ اللَّهُ البيعَ ﴾ وهذه الآية نائيةٌ بمن أُنزلت عليه عن فقه أهل هذه البنوك غفر اللَّه لهم ، وأحسن إليهم بالتوبة عليهم .

فهل تكون منهم توبةٌ يعلنون فيها عودتَهم إلى الفقه الصحيح لقوله تعالى : ﴿ وأحلَّ اللَّه البيع وحرَّم الربا ﴾ لا يُعَوِّلون فيه على التلفيقِ بين ما كان من وضع البشر ، وبين ما كان من تنزيل ربِّ البشر !

وأُحِبُّ أن أُذكِّر إخواننا أهل البنوك الإسلامية ، أنَّ إعمال الرأي العقليّ في استخراج الفتاوى من مكامن الهوى ، ورغائب النفس ، وحُطام الدنيا الفانية ، أمرٌ لا يتفق لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ مع التقوى ، واليقينِ بأنَّ الرحيل عن الحياة أمرٌ كائنٌ لا محالة ، وأنَّ الفتوى إنْ خالفت دينَ اللَّه فليست بنافعةٍ إلّا ما تجريه من مال على القائلها ، وهل كان ذمُّ اللَّه سبحانه أهل الكتاب إلّا بمثل ذلك ؟

وإنِّي لأرجو أن تفرغ قلوبُ إخواننا - أهل البنوك الإسلامية - من حبِّ الدنيا - والركون إلى فتنتها ، فلا - واللَّهِ - الدنيا بباقيةٍ ، ولا - واللَّه - الإنسانُ مصطحبٌ منها إلى آخرتِه شيئاً ، ولا - واللَّه - هو بماثلٍ بين يدي ربّه إلّا وهو مسؤولٌ : « وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ » فلينظر إخواننا أهلُ البنوك

الإسلامية بم يجيبون ربهم - وهو سائلهم - ؟!

وليُعْلَمَ أنَّني لا أطعن على النوايا ، ولا أُري نفسي حقّاً أنَّني أُوتيت علماً لم يؤته غيري ، أو أنَّني أرقُب في هذه البنوك يوماً ، كلُّ ذلك وغيره ، ليس له - واللَّه - مورد إليّ ، ولا صدورٌ عني ، فالمؤمنُ لا يكون مؤمناً إلّا إن أحبَّ لإخوانه ما يحبّ لنفسه ، وإن كره لإخوانه كره لهم ما يكره لنفسه ، ومن هذا ما أوجبه اللَّه من حقِّ النُّصح لجماعة المسلمين بعضهم على بعض ، وبعضهم لبعض ، فإنْ رأى المسلمُ ما يكره لجماعة المسلمين ، وسكت فهو مُوْبِقٌ نفسَه في إثم ، لا ينزعُه منه إلّا أن يسرع إلى نبذه والنَّأْيِ عنه ، ونسيانه !!

ثانياً : المشاركة المُتناقِصة ، وبأدنى تأمُّلٍ ؛ يُعلَم : أنَّ عقد المشاركة المتناقصة أشدُّ بُعداً عن الإباحة - التي هي الأصلُ في العادات ، ومنها المعاملات - من عقد المرابحة .

وتحريرُ صورتها على النحو الآتي : « رجلٌ يملك أرضاً ، يريد أن يُشيّد فوقها بناءً ، وليس له مالٌ يكفيه ، فيتّفق مع البنك بأنْ يقومَ البنكُ بتقديم المال الذي يكفي لتشييد هذا البناء فوقَ هذه الأرض ، فيكونُ البنكُ شريكاً بماله ، وصاحبُ الأرض شريكاً بأرضه ، وكي يُحْكِمَ البنكُ وثاقَه حول رقبة الشركة أَلَّا تَحِيفَ عنه يميناً أو شمالاً ، أو يكون شيءٌ من الظن في صَدْرِ صاحب الأرض أن يتخلَّص يوماً ما ممَّا وقع فيه أو عليه ، فمن شروط الشركة أن يرهن الأرضَ باسمه ، ويكتب في العقد أيضاً أنَّه شريكٌ مع صاحب الأرض في البناء المُقام عليها ، فإذا ما بدأ البناءُ في الدَّرّ بأجوره وفروغاته ، يُقَسم هذا الدَّرُّ ثلاثاً : قسمٌ منها - وهو النصف - يستوفيه البنك سداداً للمال الذي شارك به ، والنصف الآخر يقسم قسمين - وهو نصيب الشريكين من الربح - ربعه لصاحب الأرض ، والربع الآخر للبنك .

وقد يتمُّ الاتفاقُ بأنْ يأخذ البنكُ نصيبَ صاحب الأرض من الربح ، حتى إذا استوفى البنكُ مالَه الذي قدَّمه ، والأرباح التي صارت إليه ، تنازل عن البناء والرهن ،

وصار البناء إلى صاحب الأرض » .

لا أدري حقّاً ، كيف تجرأت عقولُ صانعي البنوك الإسلامية على التفكير في إقامتها ، فضلاً عن إخراجها من حيّز التصور والتقدير إلى الواقع المرئي ، لتصير حافظاتٍ لأموال المسلمين ، والظنُّ بصانعيها أنَّهم على علم وخشية وحِرصٍ أيضاً على مصلحة الأمة ، (وكثيرٌ منهم إخوانٌ لي وأصدقاء ولطالما نصحتهم مُعاينةً ومُواجهةً) ، لكن عذرهم فيما صنعوا ظنُّهم الحَسَنُ في بعض من أُوتي حظاً من العلم منهم ، ورغبتهم في كَفِّ أذى البنوك الأخرى ، ووقف جَشَعِها الأكول .

لكنَّ شيئاً من ذلك - أو كلّه - لا يُغني من الحق شيئاً ، ولا يدفع نُكْرَ الفعل وقُبْحَ المخالفة ، وشناعةَ الحال التي انتهت إليها البنوك الإسلامية ، حتى جعلت كبار خبرائها يسخطون عليها ، ويتبرَّؤون منها في الملأ مُبيّنينَ أنَّها لم تعد إسلاميَّةً ، فقد آلت إلى آكلاتِ مالٍ نَهِمَةٍ ، والتقت مع المؤسسات المصرفية الأخرى في طريقة التفكير والعمل معاً ، وهل كان يُرجى لها ومنها إلّا ذلك ؟

ولننظر في المشاركة المتناقصة - وهي الساق الثانية التي تمشي عليها البنوكُ الإسلاميةُ مع أُختها المرابحة - أمّا المضاربة ، فأحسب أنَّها ستكون العصا التي تستعين بها البنوكُ الإسلاميةُ وإن أصاب ساقيها الوَهَنُ .

ولكأنّي بالبنوك فكّرت وقدّرت كثيراً ، وجهدت جهداً واسعاً أن تظلّ في غِنىً عن هذهِ العصا حياتَها ، نعم ، هكذا ، لكنْ - سلامتُها - لو عقلت في أن تكون هي الساقَ الواحدةَ التي تمشي عليها ، ولسوف تكون بها أقوى ، وأتقى ، وأبقى ، لكنها العاجلةُ الموبقةُ ، أمّا الآجلة المخلِّصة فقد فرّت من البنوك الإسلامية ، وذهبت أدراج الرياح !

إنَّ عقد المشاركة المتناقصة - وإن كان يبدو لمنشئيه أَو واضعيه أنَّه عقدٌ واحدٌ - فهو في الواقع والحقيقة عقودٌ عدّةٌ ، فهو : « عقدُ شركة ، وعقدُ قرض ، وعقدٌ بشرط ، وعقد بِرَهْنٍ ، وعقد بإكراه » ! وقد نهى الرسول ﷺ عن عقدين في عقد

واحد ، وعن عقد وشرط ، إلّا أن يكون شرطاً لمصلحة العقدِ ، كالرَّهن أو الضَّمين مثلاً ، أمّا شرطٌ على إطلاقه مع العقد فلا يمضي .

وعليه ؛ فإنَّ عقد المشاركة المتناقصة محروسٌ بعقد القرض ، كيف ذلك ؟

إنَّ المال الذي يقدِّمه البنك قرضٌ صِرْفٌ ، وإلّا ، فلم كان مُستردّاً كاملاً من غير أن يَنْقُصَ منه درهمٌ واحدٌ ؟ فهو مضمون الوفاء ، بما قيّد به من الرهن ، فليس يصيبه شيءٌ من النقص ، بل إنَّه يزداد وينمو - حتى تتحقَّق فيه القاعدةُ الحاظِرة ، « كل قرضٍ جرَّ نفعاً فهو ربا » .

وهو محروسٌ بعقد مشوبٍ بالإكراه ، فإنَّ صاحبَ الأرض قُيِّد بالرهن وقُيِّد بمشاطرة البنك إياه البناء ، وقُيِّد بشرط بقاء الرهن حتى يستوفي البنكُ آخرَ قرشٍ من ماله ، فصاحبُ الأرض خاضعٌ لكل هذه القيود الشرطية !

فإن قلنا بجواز شرط الرهن ، لكنْ ماذا نقولُ بمشاطرة صاحب الأرض في البناء ، وهو سيئول إليه أخيراً ؟!

علماً بأنَّ المشاركة تتمُّ بتقديم البنك المالَ ، وتقديمِ صاحب الأرض أرضَه مقدّرةً بالمال المقدَّم من البنك ، وعقدُ المشاركة يتمُّ بمثل هذا ، وما زاد عليه من الشروط ، فهو من باب التوثيق ، يُقبل منها ما كان لمصلحة العقد ، التي لا تُنافي في العقد فَلِمَ إذاً شرطُ المشاطرة في البناء ؟! وهو لا يزيد على أنَّه شرطٌ أقلُّ ما يقال فيه إنَّه من النافلة (التَّرَفِيَّة) التي لا يدعو إليها إلّا إحكام طوق السيطرة على كلِّ شيءٍ في الشركة ، فتكونُ المشاركةُ ليست على بابها من حيث المعنى اللُّغويّ ، لأنَّ المفاعلة - في اللغةِ تقتضي وجودِ طرفين ، أمَّا هنا ، فالمفاعلةُ لا تعني معناها ، فالبنكُ يصبح المالكَ للأرض وما عليها ، ولو لزمانٍ معدود ، وهذا في ذاته (شرط الهيمنة) يكفي لإبطال العقد ونسفه من قواعده !

لقد كان حريّاً بالبنك المُشارِك أنَّ يُسَمِّيَ هذا العقدَ باسمه الصريح : « قرضٌ جرّ نفعاً » وكفى ، ولا يصلح له غير ذلك ، والحيلُ الواهمةُ الخادعةُ لا تُغْني من الحق

شيئاً ، ولا تغيِّر المُسمَّيات ، ولا تبدِّل حقائق الأمور !

وبعد ؛ فأقول لإخواننا الطيبين أصحاب البنوك ومؤسِّسيها ومُنَظِّريها : إنَّ الدنيا ذاهبةٌ بما فيها وَمَن فيها ، وأُذكِّرهم بقول الرسول ﷺ : « إنَّ روح القدس نفث في رُوعي أنَّ نفساً لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها وأَجلَها ؛ فاتَّقوا اللَّه وأَجْمِلوا في الطلب ، ولا يحملنَّكم استبطاءُ الرزق على أن تطلبوه بمعصيةِ اللَّه ، فإنَّ ما عند اللَّه لا يُنال إلّا بطاعته » .

وأذكِّرهم أيضاً بمقولةِ عُمر رضي اللَّه عنه : ولا يمنعنّك ظهورُ الباطل من غدٍ أن ترجعَ عنه ، فإنَّ الرجوعَ عن الباطل خيرٌ من التمادي فيه .

والمسلمون نَصَحةٌ بعضُهم لبعض ، فأن يقال : خسرَ الشبهات ، خيرٌ من أن يقال : ربحها ! وأدنى منازل المشاركة المتناقصة والمرابحة هي : الشبهات .

وإنَّ لكم فيما أحلَّ اللَّهُ - حقّاً - مندوحة ، تدفع عنكم الحرج ، وغُنيةً تضع عنكم الآصارَ ، فلماذا يكون منكم هذا الإصرار ، على مكابدة الأخطار ، وتنكُّب سيرة الأبرار ، والنَّسج على منوال أهل النار ؟!

وأخيراً ؛ فإنَّ مهمَّة البنوك الإسلامية ليس مقصوداً منها تحقيقُ الثروات واختزانُ الأموال وزيادةُ دخل الأغنياء ، بل يُقصَدُ منها حمايةُ الأموال من الانتهاب ، ثمَّ تحريك رؤوس الأَموال على المدى البعيد لتحقيق الأَرباح ، بعيداً عن القَفَزات السريعة والطَّفْرات الفُجائية ، وإقصاء شبح الخوف من المكاسب الحرام ، الذي يُسيطر على الناس من زمنٍ بعيدٍ ، فلا يفوتنَّ هذا الأمرُ أصحابَ البنوك ، ومُؤسّسيها ومُنظِّريها ، وعلى المفتين أن يتَّقوا اللَّه في فتاواهم .

واللَّه وليُّ الصادقين .

بينَ مجلة المجتمع والعلّامة الألباني

سعود بن ملوح العنزي

اطّلعت على ما وردَ في مجلةِ المجتمعِ في العددِ (١٠٦٤) حولَ الفتوى المَنسوبةِ لسماحةِ الشيخِ العلامةِ المحدِّثِ محمد ناصر الدينِ الألباني بوجوبِ الهجرةِ من فلسطينَ ، وتركِها لليهودِ ! - على حدِّ وَصفِهم - !!

ولقد آلمني - كَما آلمَ الكَثيرينَ - ما وردَ في المجلةِ المُشار إليها من التجنّي على الشيخِ الألبانيِّ - حفظه اللّهُ - سواءٌ من المجلةِ نفسِها - الّتي تدّعي الموضوعيةَ والإنصافَ فيما تنشره - أو من قِبلِ من أوردت « المجتمعُ » آراءَهم !!

فقد كشرتِ الحزبيّةُ عن أنيابِها في ذلك التحقيقِ اللّاموضوعيّ ، وكانَ وراءَ اختيارِ تلكَ الفئةِ - الّتي نفثت حقدَها من خلالِ كلماتٍ نابيةٍ - ما وراءه ، فإلى اللّهِ المُشتكى .

فالمجلةُ - هدى اللّهُ القائمينَ عليها - قد كتبت عناوينَ مثيرةَ (تستنهضُ) بها عواطفَ من لا يعرفُ حقيقةَ الفتوى من القرّاءِ ؛ فقد كتبت بالخطِّ العَريضِ « الألبانيُّ

يُفتي بوجوبِ هجرةِ أهلِ فلسطينَ من أراضيهم » هكذا وبدونِ إيضاحٍ أو قيودٍ - سبحانَكَ اللَّهمَّ !

وكانَ الأحرى بالمجلةِ - وهي تدعي أنَّها مجلةُ المسلمينَ في أنحاءِ العالمِ - قبلَ أن تُثيرَ هذهِ البَلْبَلةَ حولَ فتوى العلّامةِ الألبانيِّ - أنْ تقفَ على حقيقةِ هذهِ الفتوى ، وتتأكدَ من صُدورِها كما نُقلت إليها عن الشيخِ الألبانيِّ ، ولا تتسرعَ بنسبةِ هذهِ الفتوى للألبانيِّ من غيرِ القيودِ الشرعيّة والضوابطِ العلميّةِ الّتي وردت في الفتوى الصادرةِ عن الشيخِ حقاً ، فليسَ ما أوردته « المُجتمعُ » في تحقيقِها الجائرِ من الأمانةِ الدينيةِ - ولا أَقولُ : - الصحفيةِ في شيءٍ ، وهو مُخالفٌ - بقضِّه وقَضيضِه - لقولِه تعالى : ﴿ يا أيُّها الّذينَ آمنوا إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أنْ تُصيبوا قَوماً بِجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمينَ ﴾ .

ولكن ماذا نَقولُ وقدعَملت الحزبيّةُ عملَها ، فأصبحت تقلبُ الحقائقَ رأساً على عَقب !!

وكانه من أَصرحِ الظلمِ الّذي صدرَ من المجلةِ في حقِّ الشيخِ الألبانيِّ هو اختيارُها لأولئكَ « المشايخِ والدكاترةِ » الّذينَ عُرفوا بعدائِهم الشديدِ للشيخِ الالبانيِّ ، بل للدعوةِ السلفيّةِ المُباركةِ ، الصافيةِ ، النقيةِ مِن أدرانِ الانحرافِ وشوائبِ الحزبيةِ ، كما أنَّ بعضَهم يحملُ في خَبيئةِ نفسِهِ على الشيخِ حَملاً شديداً ؛ لأغراضٍ لا تَخفى على الألبّاءِ !! وقد اهتبلها أولئكَ « المشايخِ والدكاترةِ » فرصةً للنيلِ من عِرضِ الشيخِ وتشويهِ سمعتِهِ أمامَ الجماهيرِ المُسلمةِ ، سواءٌ من خلالِ الصحفِ أو المنابرِ ، أو ... ولكن :

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيوْهِنَها ... فَلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوعلُ

ولقد كانَ الأجدرُ بهم - هداهم اللّهُ - أن يَحفظوا ألسنتَهم ويُعِفُّوها عن تلكَ الألفاظِ النابيةِ الّتي يترفعُ عنها العاميُّ فضلاً عن أن يتكلَّمَ بها مَن ينسُبُ نفسَه للعلمِ

وأهلِهِ .

فقد قرأنا - مثلاً - ما وردَ من كلامِ الدكتورِ صلاح الخالديّ وما فيه من تجريحٍ لسماحةِ الشيخِ الألبانيّ ، فقد نَزَلَ الرجلُ بكلامِهِ إلى مُستوى ما له أن يَصلَ إليه ! وكأنَّه يظنُّ أنَّه يستعدى الجماهيرَ على الشيخِ !! ولكنَّ الجماهيرَ المسلمةَ (الواعية) - الّتي تعرفُ من هو الألبانيّ - اقشعرَّت أبدانُها من كلماتِهِ النابيةِ في حقِّ الشيخِ ، فسقطَ « الدكتور » من أعينِ الكَثيرِ منهم .

لقد كانَ الأجدرُ بالدكتورِ الخالديِّ أن يتعلَّمَ الأدبَ مع من هم أكبرُ منه سناً - فضلاً عمّن هم أفضلُ منه علماً - ولعلّه لا يُنكرُ هذا - وذلكَ قبلَ أن يسلكَ هو طريقَ العلمِ الشرعيِّ وقبلَ أن يُقدِّمَ رسالتيه في الماجستيرِ والدكتوراه !!

وأمّا ما وردَ من كلامِ « الدكتورِ ! » الآخرِ محمد البوطي واتهامِهِ للألبانيِّ بالعمالةِ !! فليسَ هذا بمستغربٍ أن يصدرَ من مثلِهِ ، ولا أدري مَن الّذي يُتَّهمُ بالعمالةِ حقاً !! فنحنُ نعرفُ من هو أهلٌ للعمالةِ ، كما اننا نعرفُ عداءَ البوطيِّ للدعوةِ السلفيةِ ودُعاتِها .

ولا نستغربُ - أيضاً ما صرَّحَ بهِ الدكتورُ ! « الثالثُ » فقيرُ العلمِ (!) من أنَّه يشمُّ رائحةَ العمالةِ من تلكَ الفتوى ! فنحنُ نعرفُ أنَّ هذا الدكتورَ « شَمّامٌ قديمٌ » ؛ فقبلَ ذلكَ كان يَشمُّ رائحةَ البترولِ والعمالةِ من فتاوى بعضِ عُلماءِ الجزيرةِ في وقائعِ متعددة !

كما أنَّه صرَّحَ - أيضاً - أنَّه يشمُّ رائحةَ البترولِ من فتاوى عُلماءِ مصرَ كذلكَ ! .

إذن فالرَّجلُ « شَمّامٌ درجةً أُولى » ، فلا نستبعدُ أنْ يصدرَ منه مثلُ هذا الكلامِ في حقِّ الشيخِ الألبانيِّ - خاصةً - ؛ فهو معروفٌ بعدائهِ الشديدِ لمنهجِ الكتابِ والسنّةِ ، فضلاً عن مُعاداتِهِ الشخصيّةِ للشيخِ الألبانيِّ .

ولقد أخبرني اثنانِ من الأُخوةِ الثقاتِ أنَّهم حَضَروا خطبةً « لفقيرِ العلمِ » هذا وصفَ فيها الشيخَ الألبانيَّ بالدَّجالِ !!! وهُو أحقُّ بها وأهلُها !

وكم كنتُ أتمنى أن يتوقَّفَ أُولئكَ « المشايخُ والدكاترةُ » عن الإدلاءِ بآرائهم حولَ هذهِ الفتوى حتّى يتأكَّدوا من صدورِها - بتفاصيلِها وحيثيّاتِها عن الشيخِ الألبانيِّ ، كما توقفَ بعضُ الأفاضلِ كالشيخِ عمر الأشقرِ والشيخِ القرضاويِّ - حفظَهما اللّه تعالى - ، فهؤلاءِ المشايخُ الفُضلاءُ يَعرفونَ أنَّ مثلَ هذه الفتوى لا يُمكنَ أن تصدرَ عن رجلٍ بمكانةِ الشيخِ الألبانيِّ .

ولقد كتبَ فضيلةُ الشيخِ محمد شقرة رسالةً خاصةً في هذه المسألةِ ، جلّى فيها حقيقةَ قَولِ الشيخِ ، ونَسَفَ مِن خلالِها شُبهاتِ المُموِّهينَ ؛ سمّاها : « ماذا يَنقمونَ من الشيخِ » ، وقد نشرت « الأصالةُ » في عددِها الماضي مقالاً لفضيلةِ الشيخِ شقرة اختصرَ منه - هو - كتابَه المذكور ، فلا نُعيدُ أو نُكرِّرُ .

وختاماً ؛ فإنّي أرجو أن أكونَ قد أزلتُ شيئاً من اللَّبسِ الّذي حدثَ عندَ بعضِ الأُخوةِ ، راجياً منهم أن يتثبّتوا عندَ سماعِ مثلِ هذهِ الأراجيفِ ، وأنْ يُحسنوا الظنَّ بعلمائهم ، ويحذروا أباطيلَ المُرجفينَ والنافخينَ بأبواقِ الشياطينِ .

وأخيراً ؛ أُنبّهُ إلى أنني قد بعثتُ بهذهِ المقالةِ إلى مجلةِ « المجتمعِ » ؛ رغبةً مني في النصحِ لهم والتواصي بالحقِّ ، ولكنَّ « المُجتمعَ » لم تنشرْ شيئاً ممّا أرسلتُ لهم ، ولكنْ من بابِ حسنِ الظنِّ بإخوانِنا نقولُ : لعلَّ « الرسالةَ » قد ضلَّت الطريقَ !

اللَّهمَّ فاطرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ ، أنتَ تحكمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يَختلفونَ ، اهدنا لِما اختُلفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ .

٢

الثَّقافَةُ .. والغزوُ الثقافيّ

د . مروان القيسي

التفوُّقُ العسكريُّ أو الهيمنةُ الاقتصاديّةُ لأيِّ أُمةٍ من الأُمم ، وممارسةُ قوتِها العسكريّةِ أو الاقتصاديّةِ على أُمّةٍ أُخرى لا يَعني بالضرورةِ حدوثَ غزوٍ ثقافيٍّ ، فقد تكونُ الأُمةُ قويةً عسكريّاً ومُزدهرةً اقتصاديّاً لكنَّها ضعيفةٌ ثقافيّاً ، وقد يُصيبُ الضعفُ العسكريُّ أُمةً من الأُمم فيحتلُّها عدوُّها أو يُهيمنُ عليها اقتصاديّاً لتصبحَ سُوقاً استهلاكيّةً يصرفُ فيها منتوجاتِه ، لكنَّها مع ذلكَ تَبقى صامدةً ثقافياً لا لشيءٍ إلّا لأنَّ ثقافتَها أقوى من ثقافةِ المُحتلِّ

وإنَّ الدارسَ للتاريخِ ليرى هذهِ الظاهرةَ واضحةً بشكلٍ جليٍّ في فتراتٍ مُتعددةٍ من تاريخِ الأُمةِ الإسلاميّةِ بدءاً من التتارِ وانتهاءً باليهودِ في فلسطين ، ومروراً بالصليبيينَ والإنكليزِ والفرنسيينَ والإيطاليينَ في استعمارِهم الحديثِ للعالم الإسلاميّ .

بل إنَّ هذهِ الأُمةَ – المَغلوبةَ على أمرِها في أزمنةٍ مُختلفةٍ – استطاعت أَن توقعَ

بمُحتلِّها هزيمةً ثقافيّةً شاملةً مُتمثِّلةً بدخولِ المَغولِ في دينِ اللَّهِ أفواجاً ، بعدَ احتلالهم وتخريبِهم الشاملِ للشرقِ الإسلاميّ ، كما أنّها استطاعت أن تُوقعَ بالأُوروبيينَ هزيمةً ثقافيّةً محدودةً حدثت نتيجةً لاحتكاكِ الأُوروبيينَ بالمسلمينَ في الأندلسِ ، وإبّانَ الحروبِ الصليبيّةِ في فلسطينَ وبلادِ الشامِ ، وتأثرهم كثيراً بالثقافةِ الإسلاميّةِ نتيجةً لهذا الاحتكاكِ ، حتى عدَّ الكَثيرونَ ذلكَ من أسبابِ النهضةِ الأُوربيّةِ.

ولعلَّ قوةَ الثقافةِ الإسلاميّةِ ومناعتَها هي الّتي دفعت بإسبانيا النصرانيّةِ لليأسِ من إحرازِ أيِّ كسبٍ في جُهودِها بعدَ سُقوطِ الحكمِ الإسلاميّ عامَ ١٤٩٨م ، فعمدت إلى طردِهم أو إحراقِهم وهم أحياءٌ بواسطةِ محاكمِ التفتيشِ الّتي أُقيمت خصيصاً لهذهِ الغايةِ .

وفي تاريخِنا الحديثِ أمثلةٌ على قوّةِ الثقافةِ الإسلاميّةِ وقدرتِها على المُقاومةِ ؛ فهذهِ أقطارُ المغربِ العربيِّ وبشكلٍ خاصٍّ الجزائر ، تصمدُ وتُقاومُ بثقافتِها الإسلاميّةِ السياسةَ الفرنسيّةَ الّتي رَمت إلى تذويبِ الشخصيّةِ الإسلاميّةِ مبتدئةً باللغةِ الّتي تُعَدُّ من أهمِّ قواعدِ الثقافةِ وأُسسها .

وقد تصدّى القرآنُ لتلكَ المُحاولةِ فأحبطَها من أساسِها ، وهذه حقيقةٌ لا يستطيعُ أحدٌ إنكارَها ، إذ لولا المساجدُ لفقدت الجزائرُ لغتَها العربيّةَ إلى الأبدِ .

وفي الوقتِ الّذي فشلَ فيه الغزوُ الثقافيُّ الفرنسيُّ من تحقيقِ انتصارٍ على الثقافةِ الإسلاميّةِ في أقطارِ المغربِ العربيِّ ، فإنَّه استطاعَ بسهولةٍ إنجازَ مكاسبَ مهمةٍ على الثقافاتِ الوثنيّةِ في بعضِ الأقطارِ الإفريقيّةِ ممّا أدّى إلى ذوبانِ تلكَ الشعوبِ ذَوَباناً تامّاً في الثقافةِ الفرنسيّةِ ، حتى إنّها اعتنقت النصرانيّةَ الكاثوليكيّةَ – مذهبَ الفرنسيينَ – وسادت المَظاهرُ الحقيقيّةُ للثقافةِ الفرنسيّةِ .

ولقد أشرنا آنفاً إلى عدمِ وُجودِ علاقةٍ بينَ الغزوِ العسكريِّ والغزوِ الثقافيِّ ، وقُلنا : إنَّ حُصولَ غزوٍ عَسكريٍّ لا يَقتضي بالضرورةِ حصولَ غزوٍ ثقافيٍّ ، وهُنا نودُّ أن نُلفتَ الانتباهَ إلى أمرٍ آخرَ وهو أنَّ التفكُّكَ السياسيَّ والاقتصاديَّ بينَ أجزاءِ الأُمةِ الواحدةِ لا يَعني بالضرورةِ حصولَ تفكُّكٍ ثَقافيٍّ .

ولذا فإنَّه ليسَ مِن بابِ التفاؤلِ الكاذبِ أو الزعمِ أن نذكِّرَ بأمرينِ :

الأوَّلُ : إنَّ ما تُواجهُه أُمتُنا الإسلاميةُ من تحدياتٍ على المستوياتِ العسكريّةِ والاقتصاديّةِ وغيرِها لا يُشكلُ خطراً يهددُ مُستقبلَها ، لأنَّ الضمانةَ الّتي تحولُ دونَ ذلكَ متوفرةٌ وموجودةٌ بحمدِ اللّهِ ؛ وهي الثقافةُ الإسلاميّةُ المُرتكزةُ على العقيدةِ ، بل على العكسِ من ذلكَ ؛ فإنَّ هذهِ التحدياتِ ستشكِّلُ في النهايةِ عناصرَ إيجابيّةً تشحذُ الهممَ وتُوقظُ الوعيَ وتنهضُ بالعزائمِ .

والأمرُ الثاني : إنَّ ما تمرُّ بهِ أُمتُنا من انقسامٍ سياسيٍّ ، وعدمِ تنسيقٍ اقتصاديٍّ واختلافاتٍ وانقساماتٍ متنوعةٍ وعديدةٍ ، لا يُشكلُّ أيضاً خطراً على ما تتمتعُ به الأُمةُ .

* مظاهرُ الغزوِ الثقافيِّ :

إنَّ استحالةَ نجاحِ الغزوِ الثقافيِّ الأجنبيِّ للأُمةِ الإسلاميّةِ وثقافتِها الأصليّةِ لا يَعني بالضرورةِ استحالةَ وُجودِ مَظاهرَ ثقافيّةٍ أجنبيّةٍ مُعيّنةٍ في ثقافةِ المُسلمينَ وحياتِهم اليوميّةِ ، كما أنَّ وُجودَ مثلَ هذهِ المَظاهرِ لا يَعني نجاحَ الغزوِ الثقافيِّ الأجنبيِّ ، ولقد أخبرَ الصادقُ المصدوقُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بتأثرِ المسلمينَ ببعضِ مظاهرِ ثقافاتِ الأُممِ الأُخرى ، فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ في « صحيحهما » عن أبي سَعيدٍ قولَه ﷺ : « لتتبعنَّ سننَ من كانَ قبلَكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لو سَلَكوا جحرَ ضبٍّ لسلكتموه ، قالوا : اليهودُ والنصارى ؟ قالَ : فَمَنْ ؟ » .

إنَّ الدارسَ لتاريخِ الإسلامِ والمسلمينَ يستطيعُ أن يَرى مظاهرَ ثقافيّةً دخيلةً في ميدانينِ رئيسيينِ : فهم الإسلامِ وحياةِ المُسلمينَ :

فبالنسبةِ للإسلامِ ؛ فقد تسببت العناصرُ الدخيلةُ الّتي أُضيفت إليه في تشويه صورتِهِ الناصعةِ ، والانحراف في فهمِهِ .

وأقصدُ بالانحرافِ - هنا - الانحرافَ الّذي وقعَ في فهمِ الإسلامِ نتيجةً للابتعادِ عن أصليهِ الأصيلينِ ؛ كتابِ اللّهِ وسنةِ رسولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ، فالإسلامُ - بخلافِ الأديانِ الأُخرى - لم يقع فيهِ التحريفُ بالنصِّ ، إذ إنَّ اللّه سُبحانَه وتعالى قد تكفّلَ بصيانةِ النُّصوصِ من أي تحريفٍ ، فقالَ عزَّ من قائلٍ : ﴿ إنَّا نحنُ نزلّنا الذكرَ وإنّا له لحافظونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

لكن التشويه في الفهمِ حصلَ على أيِّ حالٍ في عُهودٍ مُختلفةٍ وعُصورٍ مُتباينةٍ ، ولم يَحصلْ ذلكَ بسببِ اتصالِ الأُمةِ الإسلاميّةِ بغيرِها من الأُممِ ، إذ كَثيراً ما اتصلت هذهِ الأُمةُ بغيرِها دونَ أن تتأثرَ بثقافةٍ أجنبيّةٍ ، وإنّما حصلَ ذلكَ الانحرافُ والتشويهُ لضعفِ المُسلمينَ في فتراتٍ مُعيّنةٍ بسببِ ابتعادِهم عن الكتابِ والسنّةِ ، فأدخلت فرقٌ وجماعاتٌ على الدينِ ما ليسَ فيهِ بحجّةِ البدعةِ الحسنةِ أو بغيرِها من الحججِ ، واستعارت عناصرَ ثقافيّةً أجنبيّةً أضافتْها إلى الإسلامِ مُشوّهةً بذلكَ صورتَه وتَصَوُّرَهُ في النفوسِ

ويَكفينا هنا مثالٌ واحدٌ هو ما أدخَلَه الصوفيّةُ (المسلمونَ) على الإسلامِ من عقيدةِ وحدةِ الوُجودِ بعدما أخذوها من متصوفةِ (الدياناتِ الأُخرى) وفي مُقدِّمتِها الهندوسيّةِ الوَثنيّةِ !

غيرَ أنَّ العنايةَ الإلهيّةَ حفظت هذا الدينَ من التحريفِ والتشويهِ ، فقامَ العُلماءُ

الأفاضلُ في كلِّ عصرٍ وزمانٍ يأمرونَ بالمَعروفِ وينهونَ عن المنكرِ ويدعونَ الناسَ للرُّجوعِ للكتابِ والسنةِ ؛ لأنَّهما الضَمانتانِ الوحيدتانِ لتنقيةِ الإسلامِ من أيّةِ شائبةٍ أو عُنصرٍ دَخيلٍ ، فكانَ المُجددونَ وكانَ التجديدُ .

* التجديد والثقافة الإسلاميّة :

والإسلامُ - كما رأينا - في مفهومِهِ للتجديدِ مُغايرٌ لكلِّ الأديانِ الأُخرى في مفهومِها لهذهِ القضيةِ ، فالتجديدُ في الأديانِ الأُخرى غيرِ الإسلامِ عنى دائماً إضافةَ عناصرَ جديدةٍ أو حَذْفَ عناصرَ أصيلةٍ لجعلِ الدينِ أكثرَ مُلائمةً للعُصورِ المتجددةِ !! كما حَدَثَ في اليهوديّةِ أو المسيحيّةِ وغيرِها !

أمَّا بالنسبةِ للإصلاحِ ؛ فإنَّ التجديدَ بعكسِ ذلكَ تماماً ؛ إذ اقتضى حذفَ كلِّ العَناصرِ الدخيلةِ وتنقيةَ الإسلامِ من كلِّ شائبةٍ بالعودةِ إلى النبعِ الصافي لهذا الدينِ المُتمثلِ في أصليهِ الأساسيَّين ؛ القرآنِ الكريمِ والسنةِ المُطهرةِ ، وقد كانت هذهِ المهمةُ هي الشغلَ الشاغلَ للمُجددينِ جميعاً كابنِ تيميّةَ ومحمدِ بنِ عبدِالوهّابِ وكلِّ الدعواتِ السلفيّةِ الّتي قامت في العالمِ الإسلاميِّ على مرِّ العُصورِ الّتي تُمثِّلُ التجديدَ الإسلاميَّ بأصدقِ وأدقِّ معانيه .

وانسجاماً مع مَفهومِ التجديدِ في الإسلامِ رُفضت البدعةُ بكلِّ أنواعِها ، وعُدَّ كلُّ ما أُحدثَ على خلافِ الحقِّ المُتلقى عن رسولِ اللّهِ ﷺ بدعةً ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلُّ ضلالةٌ في النارِ ، فليسَ هناكَ ما يُسميه بعضُ الناسِ بدعةً حسنةً ! بل هناكَ بدعةٌ مُكفّرةٌ أو بدعةٌ مُحرَّمةٌ ، ولا ثالثَ لهما .

ممّا سبقَ يتضحُ لنا قوةُ العلاقةِ التي تربطُ أصالةَ الثقافةِ الإسلاميّةِ بمفهومِ التجديدِ في الإسلامِ .

* الثقافةُ الإسلاميّةُ ومناعتُها :

أمّا فيما يخصُّ حياةَ المُسلمينَ أنفسِهم ؛ فقد تأثرت تصرفاتُهم وسلوكُهم الحياتيّ بالثقافاتِ الأجنبيّةِ ؛ وبخاصةِ الثقافةَ الغربيّةَ الّتي امتدَّ تأثيرُها لمجالاتٍ عديدةٍ في حياةِ الفردِ والمُجتمعِ والدولةِ ، فكانت مَظاهرُ الثقافةِ الأجنبيّةِ في لباسِ المُسلمينَ رِجالاً ونساءً ، وفي طعامِهم وشرابِهم ، وفي العَلاقاتِ الاجتماعيّةِ بينَ الأفرادِ ، والّتي سادَها الفُتورُ وإهمالُ القريبِ لقريبِهِ والجارِ لجارِهِ نتيجةً للتأثرِ بأُسلوبِ الحياةِ الغربيّةِ .

وفي الاحتفالاتِ أخذَ المُسلمونَ يُقلِّدونَ الأحانبَ بالاحتفالِ بمناسباتٍ مُعيّنةٍ كعيدِ الأُمِّ ، وعيدِ العمّالِ وعيدِ رأسِ السنةِ ، وغيرِها كثيرٌ !!

وفي الحياةِ السياسيّةِ انتشرت الدعوةُ للديمقراطيّةِ الّتي يَرفُضُها الإسلامُ تماماً .

وفي ميدانِ الاقتصادِ والمالِ سادَ النظامُ الرأسماليّ الاقتصاديُّ الغربيُّ الّذي قوامُهُ على الرّبا بأنواعِه العديدةِ الّتي يَصعبُ حصرُها .

وفي الختامِ ؛ فإنَّ ثِقتَنا الكبيرةَ بقوةِ الثقافةِ الإسلاميّةِ ومناعتِها ينبغي أن لا تدفعَنا للكسلِ والإهمالِ ، لنقومَ بتطهيرِ حياتِنا من مظاهرِ الثقافةِ الأجنبيّةِ ، فنحنُ مدعوُّونَ - بل مأمورونَ - بتنقيةِ تصرفاتِنا اليوميّةِ من تلكَ المَظاهرِ الدخيلةِ الّتي تأثّرنا بها ؛ لا لضعفِ الثقافةِ الّتي ننتمي إليها ، بل لضعفِ تمسكنا بهذهِ الثقافةِ وقلةِ تفاعلِنا معها .

فهل مِن عودةٍ أصيلةٍ لدينِ اللّهِ ؛ تَحْمينا من كلِّ أنواعِ الثقافةِ الغربيّةِ الوافدةِ ، وتجعلُنا مُؤَثِّرينَ .. لا مُتَأَثِّرينَ !!؟

٢

إلى مواكب الصادقين ..

أم محمد الفاتح

* الفرج مع الصبر والتضحية :

... عندما سمعت خبر استشهاده رحمه اللّه - **أحسبه كذلك ولا أُزَكّيه على اللّه** - لا أعرف كيف جاءني شعورٌ بقرب شفاءِ ولدنا محمد ، فقد استحضرت - في نفسِ اللّحظة التي سمعت فيها الخبر - ما كان يقوله أبوه رحمه اللّه ، فكنت أردد دائماً وأدعو اللّه : اللّهمَّ كما أكرمت أباه بالشهادة أكرمه بشفاء ابنه يا أرحم الراحمين .

لقد أحسن الظنَّ باللّه رحمه اللّه ، ولقد أكرمنا اللّه بشفاء محمد ؛ صحيح أنَّه لم يَشْفَ شفاءً تاماً فهو إلى الآن لا يستطيع الجلوس ولا المشي ورقبته غير ثابتة ، ولكني أحمد اللّه ألف مرَّة ، بل أحمد اللّهَ بعدد أنفاسي ، فإنَّ الفرق بين حاله الآن وحاله سابقاً كالفرق بين السماء والأرض ، والحمد للّه أولاً وآخراً ، ولم يكن حَمَدٌ رحمه اللّه قد رآه وهو في هذه الحالة ، بل إنَّ محمداً إلى وقت سفر أبيه لم يتحسن إلّا تحسناً خفيفاً لا يُذكر .

* شعورُ بالشهادة :

وعندما سافر رحمه اللّه كنت أقول له قبل خروجه : قل لي : « للّه ما أَخذَ وله

ما أَعطى » فأنا أشعر أنَّك لن تعود ، وكنتُ قد طلبت من عمَّتي من أول الأيام التي سافر فيها أن نجهز التهنئة التي سنكتبها في الجريدة - لأني كنت قد وعدته أنَّه إذا قتل في سبيل اللَّه فسأكتب له تهنئة[1] - ؛ لأننا ربما نرتبك عند سماع الخبر فلا نستطيع كتابة التهنئة ، وكانت تقول لي : لا تقولي مثل هذا الكلام !

وسبحان اللَّه قبل سماعي الخبر بيومين كنت أراجع مع عمَّتي بعض أحكام المعتدَّة ، وكنت أقول لها : يجبُ أن أعرف الأحكام جيداً فربما أكون في العِدَّة وأنا لا أدري .

وقد أرسل لي رحمه اللَّه رسالتين ؛ الرسالة الأولى وصلت قبل الحادثة بفترة ، والثانية وصلت في اليوم الثاني من سماعي الخبر .

أمَّا الرسالة الأولى التي أرسلها فكتب يقول فيها :

« الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، من يهده اللَّهُ فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، الحمد للَّه - حمداً كثيراً - الذي هدانا لهذا ، ولولا فضل اللَّه ورحمته لكنا من الخاسرين ، فله الحمد كما ينبغي ، وله الشكر كما ينبغي ، وله الثناء الحسن كما ينبغي .

أمَّا بعد : فالسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته : كيف حالك والأولاد ؟ أسأل اللَّه أن تكونوا في حالٍ أحسنَ مما تركتكم عليه ؛ ذلك ظني في اللَّه ، وكيف لا تكونون في أحسن حال وقد خَلَفَني اللَّهُ فيكم ؟! اللَّهم إني أسألك الخير كلَّه لمن خلفتني فيهم ، آمين .

أمَّا بالنِّسبة لي فقد سهَّل اللَّه أمري ووفَّقني لما كنت أسأله سبحانه ، فقد شاركت في عمليّة اقتحام مع إخواننا من البوسنة ، ولقد منَّ اللَّه على مجموعتنا بقتل حوالي أحد عشر من الكفار الصِّربيين ، أسأل اللَّه أن يُثْرِكَنا في أجر قتلهم ، والحمد للَّه لم أصب بشيء ونحن الآن نُهَيِّئُ أنفسنا لعملية أخرى ، بعد ذلك إن شاء اللَّهُ

---

(١) وفي هذا نَظَرٌ شرعيٌّ . (الأصالة) .

نتوجه إلى منطقة بالقرب من مدينة سراييفو ، وأسأل اللّه أن يسهل عليَّ أمري وأن يوفقني اللّه لما يحبه ويرضاه ، وأن يعاملني بما هو أهله ؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه ، لا تخافي ولا تحزني واصبري وما صبرك إلّا باللّه ،

واعلمي أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطئك لم يكن ليصيبك ، وأنَّ لكل أجل كتاباً ، قال تعالى : ﴿ قُل إنَّ الموت الذي تفرون منه فإنَّه مُلاقيكم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا اللّهَ لعلَّكم تُفْلِحونَ ﴾ فالصبرَ الصبرَ في اللّه ، والاحتساب عند اللّه ، ولا تستسلمي لوسوسة الشيطان وتخويفه ، فالأمر كله للّه وحده ، فأوصيك ونفسي بالصبر والمصابرة وقولي :

إنَّا للّه وإنَّا إليه راجعون ، اللّهمَّ آجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها – هذا إن جاءك خبر عني – .

وكتب ملاحظة في آخر الرسالة يقول فيها :

بعدما كتبت الرسالة وفي ليلة من الليالي تذكرت ولدي محمَّداً ؛ فتألمت وحاولت أن أتناسى ، وبعد صلاة الفجر نمت ، ورأيت في المنام كأنَّ محمداً ابني يستطيع المشي وتذكَّرت عند هذا الموقف أنّي قد دعوت لمحمد عند عملية الاقتحام فأسأل اللّه العلي القدير أن يكون ذلك عاجلاً غير آجل ، ثمَّ ختم كلامه ، وكتب : ﴿ إنَّ اللّه مع الصابرين ﴾ ، ﴿ إنَّ اللّه يحبُّ الصابرين ﴾ ، ﴿ وما يُلَقَّاها إلّا الذين صبروا وما يُلَقَّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم ﴾ .

أمَّا الرسالة الثانية التي وصلتني بعد أن وصلني الخبر كتب فيها :

« الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وبعد : السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته :

... الحمد للّه ، لقد نَصَرَنَا اللّهُ على أعدائه ، وهزمناهم ، وقتلنا منهم خمسةً وعشرين خنزيراً من الكفار ، وبعض الآليات قد دمِّرت بفضل اللّه ، ولقد دخلت أثناء العمليّة في حقل ألغام ، وأصابت رِجلي سِلك لُغم ، ولكنَّ اللّه سلمني منه بفضله ثمَّ بالدعاء قبل الدخول وهو : (اللّهمَّ إني أعوذ بعظمتك مِن أن أُغتال من تحتي » ونحن

الآن نَعُدُّ أنفسنا للذهاب إلى كوسوفو قرب سراييفو .

وقد أرفق مع الرسالة قصيدةً يقول : هذه القصيدة هدية منقولة ومُحَوَّرة قليلاً :

من ذا الذي رفع السلاح ليرفع اسـ ـمَـك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالاً في الجبال وربمـا صـرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذانُـنا قبل الكتائب يفتح الأمصـارا
لـم تنس أوربّا ولا أشجارهـا سجداتنا والأرضُ تقذف نارا
كـنا نُقَدِّم للمدافع صـدرَنا لم نخش يوماً ظالماً جبّارا
أرواحُنا يا ربّ فوق أَكُفِّنا نرجو ثوابَك مغنماً وجوارا

وبعد استشهاده رحمه اللَّه بأيام اتصل بنا شيخٌ من الطائف وقال : إنَّه يريد أن ينفذ وصيَّة حمد رحمه اللَّه لِيَرْقِيَ وَلَدَنا محمداً ويقرأ عليه ؛ والحمد للَّه الذي أرسل لنا هذا الشيخ الذي تفرغ للقراءة عليه تفرغاً كاملاً ، وقد عوّضنا اللَّه بفضله - سبحانَه - ثمَّ بفضل الجهاد في سبيلِهِ ، فقد أخذناه إلى كثير من المشايخ ولكنَّهم لم يتفرَّغوا للقراءة عليه كما تفرّغ هذا الأخُ جزاه اللَّه خيراً ، بل إنَّ بعضهم كان يقرأ عليه خمس دقائق فقط ، وكان هذا الشيخ جزاه اللَّه خيراً يقرأ عليه ساعات طويلة وكان يقول : إنَّ حَمَداً - رحمه اللَّه - وقد كان معه في المعسكر - حدثني ذات ليلة وقال : يا شيخ أنا أريد أن أخبرك عن ابني ، ولم يكن يعلم أنَّ الشيخ يقرأ علي المرضى - قال : كان يحدثني عن محمد وأرى الدموع بين عينيه ، فقلت له : أقرأ على محمد إن شاء اللَّه وأنت معي ، فيقول له : لا يا شيخ ، إن شاء اللَّه تقرأ على محمد وأنا في الفردوس الأعلى .

* رحمته بالأطفال والضعفاء :

ويقول هذا الشيخ عنه رحمه اللَّه : لا أنسى ليلةً جاءني فيها وهو مضطربٌ يريدني أن آتي معه في منتصف اللَّيل ، والمكان الذي كان فيه بعيد قليلاً ، وقال لي : أرجوك يا شيخ أن تأتي معي ، ابنة الجيران الصغيرة تبكي طوال اللَّيل وقد ذكّرتني

بمحمد وأريدك أن تقرأ عليها ، يقول : فأخذني في السيارة المرسيدس السوداء ، وكان قد حصل عليها غنيمة من الأعداء ، وذهب بي يقطع الطريق بسرعة ، وقد كان الخطر يحيط بنا من كل مكان ، ولكنَّه رحمه اللَّه لا يعبأ بشيء ، يقول : فما إن وصلنا حتى أحضروا لي البنت فقرأت عليها وكنت قد أحضرت معي زيتاً فأعطيتهم لكي يدهنوا به جسمها - اتِّباعاً للسُّنَّةِ - ؛ وفي الفجر عاد بي إلى مكاني ، يقول الشيخ : وقد كان الجو بارداً وزجاج السيارة - من جهته - مكسوراً ، وكنت ألبس ملابس ثقيلة ، أمَّا هو رحمه اللَّه فقد كان يلبس قميصاً بِكُمٍّ قصير ، وكنت أراه وهو يبتسم طول الطريق ، مع أننا مهددون بالخطر في أيّ لحظةَ ، بل إنَّه كان رحمه اللَّه يضع كتفه على الزجاج المكسور وهو يسوق السيارة ويقول : أخاف أن تبرد يا شيخ ؛ فكان يحمي الشيخ من البرد بجسده .

* شجاعتُه وتواضعُه يرحمه اللَّه :

ويقول : يوم أن كنت عندهم في المعسكر كان رحمه اللَّه يحرسني ، ومع أنَّه كان الأمير إلّا أنَّه لم يطلب مني شيئاً أبداً ويقول : إننا يجب أن نخدمك يا شيخ ، حتى إنَّه جاءني مرَّة يشكو لي من أخ كلَّفه بمهمَّة ، فما كان من الأخ إلّا أنْ ضرب حَمَداً في صدره وقال له : اتركني الآن ، يقول : أرأيت يا شيخ كيف يفعل بي مع أنني الأمير ، ويجب أن ينفذ ما أقول له ؟ يقول الشيخ : واللَّه لم أكن أعرف حَمَداً - رحمة اللَّه عليه - ، ولم أكن أعرف الأخ الذي أخبرني عنه ، ولكني وجهت اللَّوم إليه ، وقلت له : ربما أغضبته ... ربما .... ووضعت له الكثير من الأعذار ، حتى إنَّه رحمه اللَّه تراجع وقال : نعم ؛ أنا المخطئ .

ويقول : أنا لم أكن أعرف عائلته ، بل إنني تصوَّرت أنَّه من العمال الذين يعملون في البحرين من شدَّة تواضعه رحمه اللَّه ، حتى إنَّه حين لا يجد له مكاناً ينام فيه ، كان ينام على السُّلَّم ، وكان يعمل أعمالاً كثيرة في المعسكر يعملها بنشاط وهمَّة .

* بطولته وإقدامه في المعارك :

يقول : وبعد العمليَّة التي قُتل فيها رحمه اللَّه التقيت بأحد لأشخاص - وهو مصريُّ الجنسية - ؛ التقيت به في المستشفى ؛ لأنَّه أصيب في هذه العمليّة ؛ فكان يحدث عن حمد رحمه اللَّه قائلاً : كانت شجاعته رحمه اللَّه نادرة ، بل إنني لم أكن ألتفت يميناً ولا يساراً إلّا وأراه يقاتل ، فقد كان رحمه اللَّه في الصفوف الأماميّة بل إنَّه قتل في هذه المعركة فقط حوالي خَمسينَ كافراً في خندق واحد .

أقول : رحمك اللَّه يا أبا محمد إنَّ الرصاصة التي أصابتك في جبينك ستبقى - إن شاء اللّهُ - شاهدة على شجاعتك وإقدامك ، وستبقى شاهدة - بمشيئةِ اللَّه - على أنَّك واجهت القذائف والرصاص بصدرك لم تفرّ ولم تجبن .

* رحمك اللّهُ يا أبا محمّد :

عزاؤنا فيك يا أبا محمد أنَّكَ قد قدّمت روحك في سبيل اللَّه - فيما نَحْسِبُ واللّهُ حسيبُكَ .

عزاؤنا أنَّك أُصبت في هذه المعركة مقبلاً غير مدبر .

عزاؤنا أننا نكتم ما بنا رِضاً بقدر اللَّه سبحانَه ، وانتظاراً لذلك اليوم الذي نجتمع فيه وإيَّاكَ في جنان الخلد بإذن رب العالمين .

عزاؤنا أننا صبرنا على فراقه فيما مضى لأننا نعلم علم اليقين أنَّ النَّصر لا يأتي إلّا مع التضحية والبذل .

وعزاؤنا أننا سنصبر على فراقه الآن وإلى إن يشاء اللَّه ؛ لأننا نعلم أيضاً أننا لن نؤمن حق الإيمان حتى يكون اللَّه ورسوله والجهاد في سبيله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وأنفسنا .

عزاؤنا أنَّه - رحمه اللَّه - قدَّم نفسه للَّه ولسانُ حالِه يقول : اللَّهمَّ إني لا أملك إلّا نفسي أقدمها في سبيلك رخيصة ، اللَّهم إني أبرأ إليك من قعود القاعدين وتخلُّف المتخلِّفين عن نصرة إخوانهم في الدين .

أقول : إنني أقلُّ من أن أتكلَّم على رجل مثله ، فإنني وربي - ولا أزكيه على اللَّه - أراه رجلاً مُتَمَيِّزاً ، بدينهِ ويَقينِه ، ويكفيه صدقاً أنَّه قد باع روحه لبارئها .

*** باع الدنيا بالآخرة :**

وقد ترك - رحمه اللَّه - الدنيا بكل ما تعنيه هذه الدنيا ، تركها وراءه وقد كان يملكها ، وها نحن نرى الذين لا يملكون من الدنيا مثقال ذرة كيف يتمسَّكون بها ويتكالبون عليها !

يكفيه صدقاً أنَّه كان ممن ينام ويصحو والشهادة لا تفارق عينه .

ولا أنسى وأنا أقرب النَّاس له أنَّ دعاءه الذي لم يفارق لسانه أبداً : « اللَّهمَّ إني أسألك الشهادة في سبيلك عاجلاً غير آجل » ، وأمَّا غيره فإنَّهم يقولون : أجلاً غير عاجل !! بل إنَّهم يخافون الموت حتى لو كان شهادة في سبيل اللَّه .

يكفيه صدقاً - أحسبُه كذلك - أنَّه ترك ابنه المريض وهو في أمسّ الحاجة إليه ؛ ترك ابنه وقلبه يتقطع ، وقد كان يقول : إني أحبكم ولكني أحب ربي ولقاء ربي أكثر .

يكفيه صدقاً أنَّه من يوم عرف الجهاد لم يتثاقل إلى الأرض ، ولم يجبن ولم يرجع إلى الوراء بل إنَّه منذ أن عرف الجهاد وهو في حب وحماس وتشوق للجهاد وأهله .

يكفيه صدقاً أنَّه أبلى في المعركة التي قُتل فيها رحمه اللَّه بلاءً حسناً ، بل إنَّ كلَّ من ذهب إلى البوسنة يعرف أبا محمد الفاتح ويعرف الشجاعة والإقدام فيه رحمه اللَّه .

نقولُ هذا كلَّه حُسْنُ ظَنٍّ ورَجاءٍ باللّهِ سبحانَه ، فنحسبُه كذلكَ ولا نُزَكِّيه على اللّهِ .

رحمك اللَّه رحمة واسعة وتقبّل منك عملك خالصاً لوجهه ، وجمعنا بك في جنَّات النَّعيم ، اللَّهمَّ آمين .

اللَّهمَّ أحينا سعداء وأمتنا شهداء ، أنت مولانا وأنت حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى اللَّهمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه و

مسائل وأجوبتُها

المسائل اللبنانيّة (١)

العلامة محمد ناصر الدين الألباني

بناءً على رغبةِ عددٍ كَبيرٍ من إخواننا قُرَّاء (الأصالة) ؛
رأينا مُضاعفةَ المساحةِ الَّتي تستغرقها فتاوى شيخنا العلّامةِ
الألبانيّ ؛ لكبيرِ فائدتِها ، وعظيمِ أثرِها .

وردت [**الأصالةَ**] مجموعةٌ من الأسئلةِ من لبنان مُوجّهةً إلى شيخنا العلَّامة ناصر الدين الألباني ، وهي كما يلي :

السؤال الأولُ : هل المسحُ على الخمارِ والعمامةِ يُجزئُ عن الأذنينِ لكونِهما من الرّأسِ ؟

الجواب : الّذي أراه - واللّهُ أعلمُ - أنّه تارةً يُجزئُ وتارةً لا يُجزئُ ، أمّا في حالةِ الإجزاءِ فهي في حالةِ كونِ العمامةِ أو الخمارِ قد عمَّ الرَّأْسَ كلَّه بما فيهِ الأُذنانِ ، ففي هذهِ الحالةِ ينطبقُ الحديثُ أنَّهما من الرَّأسِ حرفيًّا .

وأَمَّا الحالة الأُخرى الّتي لا يُكتفى بالمسحِ على العِمامةِ أو الخمارِ فيها ؛ هي ما إذا كانت العِمامةُ أو الخمارُ غيرَ ساترٍ للأذنينِ ؛ بمعنى أنَّ العِمامةَ مُوَسّعةٌ مُبتعدةٌ عن الأُذنينِ ، حينذاكَ أرى تطبيقَ الحديثِ الصحيحِ والمُتعلِّقِ بمسحِ الرّأسِ نفسِهِ ؛ حيثُ

إنَّه ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ في مسحِ الرَّاسِ ثلاثُ صُورٍ :

الصورةُ الأولى - وهي الغالبةُ والعامةُ - : إنَّما هي مسحُ كل الرّأسِ مباشرةً .

والصورةُ الثانيةُ : إذا كانت العمامةُ أو الخِمارُ قد عمَّ الرَّأسَ بالسترِ ، فهنا يُكتفى بالمسحِ على العمامةِ أو الخمارِ ؛كالرأسِ تماماً .

والصورةُ الثالثةُ والأخيرةُ : وهي موضعُ استدلالٍ ونَظَرٍ ؛ وهي إذا كانت العمامةُ أو الخمارُ قد سترَ مؤخرةَ الرأسِ وانكشفَ من مُقدمةِ الرأسِ ؛ ففي هذه الحالةِ كانَ النَّبيُّ ﷺ يمسحُ على الرأسِ مُباشرةً ، ثمَّ يقبضُ على العِمامةِ .

السؤالُ الثاني : قولُه تعالى : ﴿ وربائبُكم اللّاتي في حُجورِكم من نسائِكم اللّاتي دخلتم بهنَّ ﴾ قالَ الجمهورُ في هذهِ الآيةِ : إنَّه لا مفهومَ لها ، وأنَّها خرجت مخرجَ الغالبِ ، وهناكَ أثرٌ عن عليٍّ رضي اللّهُ عنه يُفيدُ تخصيصَ ذلك بمن في البيتِ ، فما هو الرَّاجحُ ؟!

الجواب : قبلَ الإجابةِ عن السؤالِ أرى فيهِ شيئاً لا بدَّ من تصحيحِه ، وهو قولُ السائلِ : أن أثرَ عليٍّ فيه تخصيصُ هذهِ الآيةِ ! هذا التعبيرُ ليسَ فيهِ دقةٌ ؛ لانَّ الآيةَ هي نفسُها مُخَصَّصةٌ - على الصحيح - ومُقيَّدةٌ بـ ﴿ اللّاتي في حجوركم ﴾ ، فإنَّ الآيةَ نفسَها - حقّاً - مُخَصَّصَةٌ مُقيَّدةٌ ، فلو كانت مطلقةً ثمَّ جاءَ معنى آخرُ فيه قيدٌ بهذا القيدِ المَذكورِ في نفسِ الآيةِ حينئذٍ يُقالُ بأنَّ هذا النصَّ أيّدَ الآيةَ ، لكنَّ الآيةَ نفسَها هنا هي مقيّدةٌ .

بعدَ هذا التصحيحِ أقولُ : الحقيقةُ أنَّ المسألةَ خلافيّةٌ منذُ القديمِ ، وأنا أعجبُ شخصيّاً كيفَ يتفقُ الجمهورُ - هُنا - على أمرينِ اثنينِ :

أولاً : على إلغاءِ هذا القيدِ ﴿ اللآتي في حُجورِكم ﴾ ، وتصريحِهم على أنَّ

هذا القيدِ لا مفهومَ له .

ثانياً : على تتابعهم على الإعراضِ عن أثرينِ صحيحينِ عن خَليفتينِ من الخُلفاءِ الأربعةِ ؛ ألا وهما عمرُ وعليٌّ رضي اللّهُ عنهما حيثُ ثبتَ عنهما استعمالُ الآيةِ بقيدها ، فكانوا يُفتونَ بجوازِ أن يتزوَّجَ الرَّجلُ ربيبتَه إذا لم تكن في حِجره ، فأنا أَتعجبُ من هذا التتابعِ على ادّعاءينِ :

أولاً : أنَّ هذا القيدَ لا مَفهومَ له .

ثانياً : وعلى مُخالفةِ الخليفتينِ الرَّاشدينِ .

وعهدي بكثيرٍ من أهلِ العلمِ - وأخصُّ بالذكرِ الحنابلةَ - أنَّهم يَكتفونَ في مثلِ هذهِ المسألةِ أن يأتوا بروايةٍ - وقد تَكونُ غيرَ صحيحةٍ - عن أحدٍ من الصحابةِ ، فيأخذونَ بهذا الأثرِ ثمَّ يُتبعونهُ بقولِهم : ولا نعرفُ له مُخالفاً ، فَهُنا أَوْلى أَنْ يُقال : إنَّ هذين الخليفتين لا نعرفُ لهما مُخالفاً ، هذا - أولاً - ثُمَّ إنَّ ظاهرَ القرآنِ معهم - ثانياً - .

وفي البابِ حديثٌ آخرُ في « الصحيحينِ » وهو أنَّ النبيَّ ﷺ عُرضَ عليهِ أن يتزوجَ امرأةً ؛ فاحتجَّ بأنَّها ربيبتُه في حِجْرِهِ .

وقد قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميّةَ في بحثٍ له في كتابهِ القيمِّ « اقتضاء الصراط المستقيم » - حينما عالجَ موضوعَ عمومِ ذمِّ البدعةِ في الدينِ ، المؤيَّد بالأحاديثِ الصحيحةِ المعروفةِ ، وأنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُردّدُ في خطبتِهِ - الّتي هي خطبةُ الحاجةِ - قولَه : « وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ » - ، فقال : إقرارُ النَبيِّ عليهِ السلامُ لهذا النصّ العام دونَ التنبيه إلى أنَّه نصٌّ مُقيَّدٌ بأيِّ قيدٍ من الكتابِ والسنّةِ تأكيدٌ عمليٌّ منه على أنَّ النَّصَّ لا يَزالُ على شُمولِهِ وعُمومِهِ .

وهنا نستفيدُ من هذهِ القاعدةِ الّتي أفادنا إيّاها شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميّةَ رحمه

اللّهُ في كَثيرٍ من المسائلِ الخلافيّةِ وما نحنُ بصددِ بحثِهِ الآنَ ، حيثُ إنّ اللّهَ سبحانَه يقولُ : ﴿ اللّاتي في حُجورِكم ﴾ حيثُ إنَّ الحديثَ قد أيّدَ نفسَ القيدِ ، ولم يُخبر النبيُّ ﷺ عن إلغاءِ لقيد الحِجرِ ، كلُّ هذا يُشعرُ ببعدِ قولِهم : إنَّ هذا القيد ليسَ مراداً !

وقد أَردتُ أن أُنهيَ الكلامَ بهذهِ القاعدةِ الّتي طبّقتُها في هذه المسألةِ ، لكن خطرت في بالي شُبهةٌ قد تكونُ حجّةً عندَ بعضِهم حينما يتعرَّضونَ لمثلِ هذهِ المسألةِ بقولِهم : إنَّ القيدَ لا مَفهومَ له ، حيثُ يأتونَ ببعضِ النصوصِ الّتي هي فعلاً القيدُ فيها غيرُ مرادٍ ، ويُقالُ في مثلِها : لا مفهومَ له ، يحضرني من ذلكَ مثلاً قولُه تعالى : ﴿ لا تأكلوا الرّبا أضعافاً مُضاعفةً ﴾ حيثُ يقولونَ : ﴿ أضعافاً مُضاعفةً ﴾ لا مَفهومَ له .

وهذا حقٌّ ، لا شكَّ فيهِ ولا إشكالَ ، ولكنَّ هذا المثالَ لا يُشبه المُمَثَّلَ بهِ أبداً ، وذلكَ أنَّ هذا القيدَ الذي اتفقَ العُلماءُ على أنّه لا مَفهومَ له ﴿ أَضعافاً مُضاعفة ﴾ ، قامت نصوصٌ قاطعةٌ تضطرُّ الباحثَ الفقيهَ أن يَقولَ بأنَّ هذا القيدَ لا مَفهومَ له .

أمّا في مسألةِ الرَّبيبةِ فالحالُ مُختلفٌ تماماً ، فالقيدُ يتكررُ دُونَ أنْ يأتيَ نصٌّ يُخالفُ هذا القيدَ ، كما جاءت النصوصُ مُتتابعةً في إلغاءِ قيد ﴿ أضعافاً مُضاعفةً ﴾ بحيث يظهر جليّاً أَنَّ هذا القيدَ لا مفهومَ له ، فكيفَ يُستقربُ ذلكَ البعيدُ من هذا المثالِ القريبِ الّذي قامت الأدلةُ على أنّه لا مَفهومَ له !

إذن ؛ لا يَجوزُ أنْ نَقولَ : هذا القيدُ لا مَفهومَ له إلّا بحجّةٍ وبدليلٍ ، وهُنا الحجّةُ في مسألةِ الرَّبيبةِ لا وُجودَ لها .

ثمَّ تكرارُ النبيِّ ﷺ لنفسِ القيدِ في الحديثِ الّذي أشرتُ إليه آنفاً ممّا يُطيحُ بذلكَ المثالِ الذي يُرادُ به ادّعاءُ أنَّ قولَه تعالى : ﴿ اللّاتي في حُجورِكم ﴾ لا مَفهومَ له !

فالّذي ترجّحَ عندي أنَّ الربيبةَ المحرَّمةَ هنا هي الّتي كانت في حِجرِ زوجِ الأُمِّ ، أمّا إذا كانت بعيدةً كما في أثرِ عليٍّ رضي اللّهُ عنه وكذا في أثرِ عمرَ : أنَّ رَجلاً طلَّقَ زوجتَه وكانَ لها ابنةٌ ، فسألَه عليٌّ فقالَ : إنّي طلَّقتُها ، قالَ : هل لها من بنتٍ ؟ قالَ : نعم ، لكنَّها ربيبتي ، قالَ : هي في حِجرِكَ ؟ قالَ : هي في الطائفِ بعيدةٌ ، قال : تزوَّجْها .

ونحوُ ذلكَ صحَّ عن عُمرَ بنِ الخطابِ رضي اللّه عنه .

السؤالُ الثالثُ : رقصُ المرأةِ أمام زوجِها ، وكذلكَ مع النساءِ ؛ وهو التمايلُ ، وكذا دبكةُ الرّجالِ نعلمُ أنّه حرامٌ ، لكن ما هو الدليلُ ؟ أفيدونا جزاكم اللّهُ خيراً .

الجواب :هذا السؤالُ يتضمنُ ثلاثةَ أُمورٍ :

أولاً : رقصُ المرأةِ أمامَ زوجِها .

ثانياً : رقصُها مع بناتِ جنسِها .

ثالثاً : ودبكةُ الرّجالِ .

أما الأمرُ الأولُ وهو رقصُ المرأةِ أمامَ زوجِها ؛ إن كانَ رقصاً فِطريّاً ليسَ مهنيّاً ، - أي : أنّها لم تتعلم الرَّقصَ ،كما هو موضةُ العصرِ - ولو حرَّكَ شهوةَ الرَّجلِ ، فهذا لا يُوجد نصٌّ بتحريمِهِ ، شريطةَ أنْ يَكونَ ذلكَ بينها وبينَه فقط .

أمّا إذا كانت امتهنت هذا الرَّقصَ وتتعاطى أُصولَ الرَّقصِ العصريِّ ، فهذا لا يَجوزُ ، لأنني أعتقدُ أنها حينَما تفعلُ ذلكَ أمامَ زوجِها فإنّها ستفعلُه - أَيضاً - أَمامَ

غيرِ زوجِها .

أمّا رقصُها أمامَ النساءِ فأَيضاً أَقول : إن كان المقصود بالرقص هو هذا الرَّقص العصريّ فواضحٌ جدّاً أنَّه لا يَجوزُ .

فإنْ قِيلَ : ما هُوَ الدَّليلُ على ما قُلتُ ؟ فأقولُ :

إنَّ الاعتدالَ في الأُمورِ نادرٌ جدّاً ، إمّا إفراطٌ وإمّا تفريطٌ ، وبخاصةٍ إذا عاشَ الناسُ زمناً طويلاً في انحرافٍ من نوعٍ مُعينٍ ، فإذا ما تبيَّنوا أنَّ هذا الأمرَ فيهِ انحرافٌ والشرعُ يأباهُ : أعرضوا عنه فيحدثُ عن ذلكَ ردّةُ فعلٍ شديدةٌ .

وهذا ما قد أصابنا في العصرِ الحاضرِ فيما يتعلَّقُ بموضوعِ المُطالبةِ بالدليلِ في موضوعِ الخلاصِ من التقليدِ ، فقد عاشَ المسلمونَ - خاصةً وعامةً - قروناً طويلةً وهم لا يعرفونَ إلّا المذهبَ الفُلانيَّ والمذهبَ الفُلانيَّ ، أربعة مذاهبَ ، مذاهب أهلِ السنّةِ والجماعةِ ، فضلاً عن المذاهبِ الأُخرى المُنحرفةِ عن السنةِ والجماعةِ ، أمّا الاعتمادُ على ما قالَ اللّهُ ورسولُه ، فهذا كانَ موجوداً في القرونِ المشهودةِ لها بالخيريّةِ ، ثمَّ انتهى الأمرُ - حيناً من الدَّهرِ - حتّى جاءَ زمنُ ابنِ تيميّةَ رحمه اللّهُ وتلامذتِه المُخلصينَ له ، فنبّهوا المُسلمينَ إلى وُجوبِ العودةِ إلى ما كانَ عليهِ السلفُ الأوّلُ من الاعتمادِ على الكتابِ والسنّةِ .

ولا شكَّ ولا ريبَ أنَّ دعوةَ ابن تيمية وتلامذتِهِ كانَ لها أَثرٌ طيّبٌ ، ولكنْ كانَت دائرتُه ضعيفةً جدّاً في عصرِهِ ، وغلبَ الجُمودُ الفكريُّ على خاصةِ الناسِ فضلاً عن عامتِهم .

ثمَّ تلته قُرونٌ ماتَ هذا الإيقاظُ الّذي أَيقظه شيخُ الإسلامُ ابنُ تيميّةَ ، وعادَ المسلمونَ إلى جُمودِهم الفقهيّ ، إلّا في هذا العصرِ - وقبلَه بقليل - ؛ فقد قامَ كثيرٌ من العُلماءِ النابهينَ بتجديدِ الدعوةِ لضرورةِ الرُّجوعِ إلى الكتابِ والسنّةِ ، وقد

كانَ سبقَهم إلى شيءٍ من ذلكَ الشيخُ محمد بنُ عبدِالوّهابِ ؛ لأنّه في الواقعِ دعا إلى اتباعِ الكتابِ والسنةِ ولكنْ نظراً للمناطقِ الّتي كان يعيشُ فيها العربُ النجديّونَ في بلدِ الشيخِ محمدٍ والوثنيّة الّتي كانت حلّت في ديارِهم - حينَذاكَ - كانَ جهدُه الجهيدُ هو الاهتمامَ بالتوحيدِ .

وكأمرٍ طبيعيٍّ جداً - فيما أرى - حيثُ أنَّ طاقةَ الإنسانِ محدودةٌ - فهو لا يستطيعُ أن يُحاربَ في كلِّ جبهةٍ كما يقولونَ ، ولذلكَ كانت جهودُه كلُّها مُنصبّةً على نشرِ دعوةِ التوحيدِ ومُحاربةِ الشركيّاتِ والوثنيّاتِ ، وكانَ مُوَفَّقاً في ذلكَ كلَّ التوفيقِ ، ووصلت دعوتُه الطيّبةُ إلى العالمِ الإسلاميِّ فيما بعدُ ، ولو أنَّه جرى بينَه وبينَ خُصومِهِ حُروبٌ مع الأسفِ الشديدِ ، هذه سنةُ اللّهِ في خلقِهِ ، ولن تجدَ لسنةِ اللّهِ تبديلاً .

لكنْ في العصرِ الحاضرِ قامَ بعضُ العُلماءِ بتجديدِ دعوةِ الكتابِ والسنةِ ، واستيقظَ كثيرٌ من الخاصةِ والعامةِ في البلادِ العربيّةِ ، أمّا البلادُ الأعجميةُ فلا يَزالونَ في سُباتِهم مع الأسفِ الشديدِ .

إلّا أنّ هذهِ البلادَ العربيةَ أُصيبت بنكسةٍ - وهي ما أشرتُ إليهِ آنفاً - حيثُ إنَّ بعضَهم ما وقفَ عندَ الوسطِ ، بل عرفوا شيئاً وجهلوا شيئاً ، فترى الرَّجلَ العاميَّ الّذي لا يفهمُ شيئاً إذا سألَ العالمَ عن مسألةٍ ما ، ما حُكمُها ؟ سواءٌ أكانَ الجوابُ نفياً ومنعاً بادرَ بمطالبته : ما الدليلُ ؟

وليسَ بإمكانِ ذاك العالم - أحياناً - إقامةُ الدليلِ ، خاصةً إذا كانَ الدليلُ مُستنبطاً ومُقتبساً اقتباساً ، وليسَ منصوصاً عليهِ في الكتابِ والسنةِ حتّى تُوردَ الدليلَ ؛ ففي مثلِ هذهِ المسألةِ لا ينبغي على السائلِ أنِ يتعمَّقَ ويقولُ : ما الدليلُ ؟ ويجبُ أنْ يَعرفَ نفسَه : هل هو من أهلِ الدليلِ أم لا ؟ هل عندَه مُشاركةٌ في

معرفةِ العامِّ والخاصِّ ، المُطلقِ والمُقيَّدِ والناسخ والمنسوخ ، وهو لا يفقه شيئاً مِن هذا ، فهل يفيدُه قولُه : ما هو الدليلُ ؟! وعلى ماذا ؟!

أقولُ : على (حُكْمِ) رقصِ المرأةِ أمامَ زوجِها أو رقصِ المرأةِ أمامِ أُختِها المُسلمةِ جوازاً أو منعاً ! ودبكة الرِّجال ! يريدُ الدليلَ على ذلكَ ! وفي الحقيقةِ أنَّه لا يُوجدُ لنا دليلٌ نَصِّيٌّ عن الرسول ﷺ في ذلكَ ، إنَّما هو النَّظر و الإستنباط والتفقه .

ولذلكَ نحنُ نقولُ في بعضِ الأحيانِ : ليسَ كلُّ مسألةٍ يُفصِّلُ عليها الدليلُ تفصيلاً يفهمه كلُّ مسلم ، سواءٌ أكانَ عاميّاً أُميّاً ، أو كانَ طالبَ علم ، وليسَ هذا في كلِّ المسائلِ ، لذلكَ قالَ تعالى : ﴿ فاسألوا أهلَ الذكرِ إنْ كنتم لاَ تعلَمونَ ﴾ .

ومن التطرُّفِ الَّذي أشرتُ إليهِ آنفاً - وصارَ أجهلُ الناسِ بسببه يرفضُ الدليلَ - أنَّ كثيراً من المنتمينَ إلى دعوةِ الكتابِ والسنةِ يتوَّهمونَ أنَّ العالمَ إذا سُئلَ عن مسألةٍ يجبُ عليهِ أن يقرنَ جوابَه بقالَ اللّه وقالَ رسولُه .

أقولُ : هذا ليسَ بالواجبِ ، وهذا من فوائدِ الانتماءِ إلى منهجِ السلفِ الصالحِ ، وسِيَرهُم - رضي اللّه عنهم - ، وفتاواهم دليلٌ عمليٌّ على ما قلتُه .

وعليه ؛ فإنَّ ذِكرَ الدليل واجبٌ حينما يَقتضيه واقعُ الأمرِ ، لكن ليسَ الواجبُ عليهِ كلَّما سُئلَ سُؤالاً أنْ يَقولَ : قالَ اللّهُ تعالى كذا ، أَو : قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ كذا ، وبخاصةٍ إذا كانت المسألةُ من دقائقِ المسائلِ الفقهيّةِ المُختلفِ فيها .

وقولُه تعالى : ﴿ فأسألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمونَ ﴾ ، هو أولاً على الإطلاقِ ، فما عليكَ إلّا أن تسألَ من تظنُّ أنَّه من أهلِ العلمِ ، فإذا سمعتَ الجوابَ فعليكَ بالاتباعِ ، إلّا إذا كانت عندكَ شبهةٌ سمعتَها من عالمٍ آخرَ ، لا بأسَ من أن توردَها ، فحينئذٍ من الواجبِ على العالمِ أن يسعى بما عندَه من العلمِ لإزالةِ الشبهةِ

الّتي عرضت لهذا السائلِ .

خلاصةُ القولِ : رقصُ المرأة أمامَ الزوجِ بالقيدِ المَذكورِ آنفاً جائزٌ .

أمّا رقصُ المرأةِ أمامَ بناتِ جنسِها فلَه صُورتانِ - أيضاً -كما ذكرتَ آنفاً بالنسبةِ لرقصِ المرأةِ أمامَ زوجِها : إنْ كانَ رقصاً غيرَ مقرونٍ بمهنةٍ وإنّما هو عبارةٌ عن ترويحٍ وتَلويحٍ باليدينِ وليسَ فيهِ هزٌّ للأردافِ ونحو ذلكَ ممّا يحركُ النفوسَ ، أو يُثيرُ الشبهاتِ ، فأيضاً لا بأسَ بهذا الرقصِ إن صحَّ تسميتُه رقصاً !

أمّا إذا وُجدَ شيءٌ من ذلكَ فالمنعُ منه هو الأصلُ .

أمّا دبكةُ الرّجالِ فإنْ كانت تُشبه الدَّبْكَ الّذي نراه عادةً مَقروناً بالغناءِ فَضلاً عما يَكونُ فيهِ من ألفاظٍ غيرِ مشروعةٍ فهذا لهْو ليسَ مرغوباً فيهِ ، بل هو مرغوبٌ عنه ، كما قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : « كلُّ لهوٍ يلهو بهِ ابنُ آدمَ باطلٌ إلّا مداعبتَه لامرأتِهِ ومُلاعبتَه لفرسِهِ ورميه بقوسِهِ والسباحةُ » فنحنُ نرى من هذا الحديثِ القولَ بأنّه باطلٌ .

وإذا كانَ هذا شأنَ اللّهوِ البريءِ - أنّه مَرغوبٌ عنه ، وليسَ من الحقِّ - إذا كانَ لا يقترنُ معه ما يُخالفُ الشرعَ في جانبٍ من جوانبِهِ ، فحينئذٍ نَقولُ : إنّه جائزٌ لكنّه جوازٌ مرجوحٌ بهذا الحديثِ الّذي ذكرتُه آنفاً .

ففي ظني - واللّه أعلمُ - لأنّي ما أشهدُ مثلَ هذهِ الدبكةِ ، أنّها لا يُمكن أن تَخلو من مُخالفةٍ ، وذلكَ مثلاً أننا نسمعُ أحياناً الدبكةَ وليس هي فقط ، بل المُوسيقى والمؤذنُ يؤذنُ والإمامُ يجهرُ بقراءةِ القرآنِ وهم لا يلوون على شيءٍ بل هم في لهوِهم ساهونَ ، فإذن ؛ الدبكةُ هذهِ قد تكونُ من اللّهوِ المرجوحِ ولا نَقولُ : حرام إلّا إذا اقترنَ بها ما يُخالفُ الشرعَ من ناحيةٍ من النواحي فينقلبُ دُونما شكٍّ إلى حرامٍ .

أحوالُ العالمِ الإسلاميّ

التحرير

□ **فرنسا والأُصوليُّونَ :**

كشَّرَ (بنو الأصفرِ) عن أَنْيابِهم ، وطَوَوْا صفحةَ (ديمقراطيّتِهم) المكذوبة ، وأبْدَوا مَكنونَ قُلوبِهم ، وفَضَحُوا أنفسَهم ، حيثُ بدؤوا يُشدِّدونَ - وبتفاهمٍ عالٍ - على عددٍ كَبيرٍ من (المُسلمينَ) (الهاربينَ) إلى فرنسا ؛ فراراً بدينِهم ، ونجاةً بأنفسِهم ، فاعتقلت بعضَهم ، وسفّرت بعضاً آخرينَ ، وشدّدت على البقيةِ منهم !!

.. ولم تكتفِ بذلكَ ، بل (أوعزت) إلى (حُلفائِها) و (ضَغَطَتْ) عليهم ، لكي يقوموا بالفعلِ نفسِهِ ، حتّى تَغيبَ مظاهرُ (الأُصوليّةِ) الّتي بدأت تنتشرُ (بالسَّلامِ) في فرنسا ..

إنَّها الدعاوى الكاذبةُ .. و (اليافطاتُ) الفاجرةُ ... يتفاخرُ بها ساسةُ الغربِ في كلِّ شيءٍ .. إلّا .. الإسلام .. والسلام ..

□ **وفرنسا .. أيضاً :**

وتكرَّرت في فرنسا - قبلَ أيامٍ - حادثةُ طَرْدِ الفتياتِ المُسلماتِ ؛ المغربيّاتِ

والتركيّاتِ ، اللّواتي أَرَدْنَ التمسُّكَ (بشيءٍ) من دينهنَّ ، وذلكَ بالالتزامِ بغطاءِ الرَّأسِ في مدارسهنَّ الفرنسيّةِ !! حيثُ أبى ذلكَ ورَفَضَه بشدّةٍ مُدراءُ المدارسِ ، وجَعلوه نوعاً من (هَتْكِ) النُّظمِ (العلمانيّةِ) المبنيّةِ - أصلاً - على غيرِ دينٍ !

ولكنْ ... - أيضاً - أينَ الديمقراطيّةُ المُدَّعاةُ الّتي لا تَزالُ فرنسا (وجاراتُها) تتغنى بها ، وتُزَغردُ بأُغنيّاتِها ؟!

لقد قيلَ : لا ديمقراطيّةَ لمن لا يُؤمن بالديمقراطيّةِ !!

وهذا - وحدَه - هدمٌ لأُسِّ الديمقراطيّةِ وأساسِها !

أَفلا يَتفكَّرونَ ؟!

□ **أَفغانستان .. عَوْدٌ على بَدْءٍ :**

ما أنْ يَفرحَ المسلمونَ ، حتّى يأتيهم مِنْ أنفسِهم ما يُحزِنُهم ، ويُضيِّعُ فرحتَهم .. وليسَ ذلكَ إلّا بسببِ بُعدِهم عن شرعِ اللّهِ ، وتجنُّبِهم الاحتكامَ إلى هدى اللّهِ ، وجريهم وراء الكراسيّ أو العروشِ .. الّتي سرعانَ ما تذهبُ وتذوبُ ، إذْ لو دامت للماضينَ ، لما وَصَلت للحاضرينَ...

هذا ما يَجيشُ في الصدورِ حولَ ما يَجري في أفغانستانَ الآنَ .. ليسَ بينَ (الشيوعيّينَ) و (المُسلمينَ) .. لا .. ولكن بينَ (المسلمينَ) و (المسلمينَ) ... وعلى ماذا ؟ ووراءَ ماذا ؟!

هو إمّا صراعٌ على إقامةِ (الدولةِ الإسلاميّةِ) (!) المنشودة ؟! .. وليسَ هو كذلكَ .. فالدولةُ قد أُقيمت - زَعموا - !!!

... أو أنّه صراعٌ (تُغَذّيه) الدوائرُ الاستعماريّةُ العالميّةُ ؛ (الشرقيّة) منها أو (الغربيّةُ) ، دونَ معرفةِ أسبابِهِ وداوفعه !!

أو أنَّه الحُلْمُ الكَبيرُ بتولّي (السُّلطة) ، وإشغالِ الكرسيِّ ، واعتلاء (العَرْشِ) !!

.. إنَّها - واللّهِ - التربيةُ الإسلاميّةُ المَفقودةُ ..

.. إنَّها النفسيّةُ الّتي تَعيشُ بعيداً عن مدارجِ الاتِّباعِ ..

.. إنَّها العقيدةُ (الحقّةُ) الغائبةُ عن واقعِ (الناسِ) ..

□ **القدس مدينةُ الإسلام :**

لا يَزالُ ساسةُ (السلام) يُؤخِّرونَ الكلامَ عن (القدسِ) ويُرجئونَه إلى (المُفاوضاتِ النهائيّةِ) التي لا يعلمُ زمانَها ولا مكانَها إلّا اللّهُ سبحانَه !!

وأثناءَ ذلكَ - مِنْ قبلُ ومن بعدُ - نرى الإذاعاتِ والصحفَ والمجلاتِ الغربيّةَ والمُستغربةَ - تُدندنُ وتُرَكِّزُ على كلمةٍ واحدةٍ ، وهي أنّ القدسَ مدينةُ (السلام) الّتي تسعُ الدياناتِ السماويّة (الثلاث) ، وليسَ ذلكَ في حقيقتِهِ إلّا مُقدمات (ومهيّئات) لما قد اتُّفقَ عليه بينَ (القومِ) حولَ وَضْعِ القدسِ ، ونهاية حالِها !!!

نقولُ : نعم ؛ القدسُ مدينةُ السلامُ ، لكنَّها - فقط - مدينةُ الإسلامِ ، وفيها أُولى القبلتينِ ، ومسرى رسولِ اللّهِ ﷺ ، فهل يُشاركُ المسلمينَ فيها عبّادُ الأوثانِ ، وقتلةُ الأنبياءِ !!؟

□ **تَطويع وتضييعٌ .. لا تطبيع :**

مُصطلحٌ (التطبيع) مُصطلحٌ سياسيٌّ (حَلَزُونيٌّ) قريبٌ إلى الأُذنِ ، سهلُ الدُّخولِ إلى القلبِ !! لكنَّه في حقيقتِهِ مُصطلحٌ خَبيثٌ يُرادُ منه (تضييع) الحُقوقِ ، و (تطويع) المواقفِ الصلبةِ في الحقِّ ، حتّى تتلقّى بسهولةٍ (السِّلعَ) اليهوديّة ، وتَرضي عن (السفارات) اليهوديّة ، وتتقبّلُ (الأفكار)اليهودية !

فالحذرَ الحَذَرَ من صُورِ التطبيعِ القادمةِ ، الّتي تحملُ بينَ طيّاتِها مهاوي التضييعِ ، ومساوي التطْويعِ ..

فالمسلمُ ذو شخصيّةٍ مُتَمَيِّزةٍ مُستقلّةٍ ربّانيّةٍ مَبنيّةٍ على قوله تعالى : ﴿ ... لكمْ دِينُكم وَلي دينْ ﴾ .

واللّهُ وليُّ الصادقينَ .

القرّاء ... منهم وإليهم

التحرير

□ وصلت (الأصالة) رسالةٌ مُطوَّلةٌ من بعضِ إخوانِنا طُلّابِ العلمِ في الدمام ؛ قالَ فيها بعدَ الديباجةِ والسلامِ :

وبعدُ ؛ فقد لاحظتُ - وأنا أقرأُ مجلّتنا الغرّاءَ الأصيلةَ (الأصالة) السلفيّةَ الأثريّةَ - نحسبُها كذلك - بعضَ الملاحظاتِ العلميّةِ في العددِ السابعِ (ص ٤٠) في مقالِ الأُختِ أم محمد « إلى مواكبِ الصادقينَ » ؛ وفّقها اللّهُ ورحم زوجَها ، وَجعلَه من الشهداءِ ورزقنا وإيّاه الفردوسَ الأعلى .

١ - ذكرت الأُختُ أنَّ زوجَها (مِن أوائلِ شهداءِ البوسنةِ) ... أليسَ في هذهِ الكلمةِ (شهداءِ) نَظَرٌ ؟!

وقد تكرَّر ذكرُ هذهِ الكلمةِ أو شبهها بوصفِ (شهيد) غيرَ مرَّةٍ !

وتعلمونَ - وفّقكم اللّهُ - البابَ الَّذي في « صحيحِ البُخاريّ » (لا يُقالُ : فلانٌ شَهيدٌ) .

٢ - قولُه عن ذهابِهِ للبوسنةِ : « رُفعت الأقلامُ وجفّت الصحفُ » ! أليسَ فيه نَظرٌ - أيضاً - ؟

٣ – وفي (ص ٤٤) قولُه : « وسترين أنَّ في استشهادي – إن شاءَ اللّهُ – شفاءَ محمّدٍ » ! وهي عبارةٌ بحاجةٍ إلى مُراجعةٍ !

٤ – قولُ الكاتبةِ (ص ٤٤) أنّ بعضَ الشبابِ قالَ : « من سيجهّزُ المُجاهدينَ بعدكَ يا حمد ؟! » .

أليسَ في هذا غُلُوٌّ لا ينبغي ، بل لا يَجوزُ ؟! فدينُ اللّهِ ، والجهادُ ، وتجهيزُ الغُزاةِ ، ليسَ مرتبطاً بأحدٍ بعينِهِ ، وأُمّةُ محمدٍ لا ينقطعُ عنها الخيرُ – بمنةِ اللّهِ – إلى يومِ القيامةِ .

٥ – ومثلُه (ص ٤٥) قولُ والدتِها عنه : « من أينَ سَآتي بمثلكَ يا حَمَدُ ؟ » وإنْ كانَ أخفَّ مِنْ سابقِهِ .

٦ – نقلُها (ص ٤٥ ، ٤٦) لقولِهِ – رحمه اللّهُ – : « سأراكِ يا أُمّي في الجنّةِ ... » ؟!

أليسَ عليه مُلاحظةٌ !؟

٧ – قولُها (ص ٤٧) : « لم يَكن – رحمه اللّهُ – يُطيقُ أن يسمعَ كلمةً من مسلمٍ يقولُ فيها : إنَّ الجهادَ فرضُ كفاية ! ...» !

وهذا فيه نَظَرٌ ، إذ إنّه يجبُ على المسلمِ قَبولُ قولِ العُلماءِ الأثباتِ الثقاتِ المبنيِّ على الدليلِ من الكتابِ وصحيحِ السُّنّةِ بهدي السلفِ الصالحِ ،وليسَ العبرةُ بالحماسِ فقط ، كمثلِ ما قالَه – رحمه اللّه – في الصفحةِ ذاتِها تعليقاً : « أيُّ كفايةٍ وقد ذُقنا مِن الذُلِّ ما فيه كفايةٌ » !

صحيحٌ أنّنا ذُقْنا ، ولكنْ لا بُدَّ من ضوابطَ شرعيّةٍ للفتوى ، وليسَ عواطفَ فقط ... نعم ؛ عواطفُ مضبوطةٌ بالشرعِ .

أسألُ اللّهَ – سبحانَه – أن يُعليَ دَرَجَتَه وأن يرزُقنا وإيّاه – وإياكم – الفردوسَ الأعلى .

وأخيراً ؛ فهذهِ مُلاحظاتٌ قَصَدْتُ بها التناصحَ الّذي أسألُ اللّهَ أن يجعلَه خالصاً لوجهِهِ ، فما كانَ فيها مِنْ صوابٍ فمن اللّهِ وحدَه ، وما كانَ من خطأٍ ؛ فمن نفسي ومن الشيطانِ .

و (**الأصالة**) لنا جميعاً ، ونحنُ لها .

سدّدَ اللّهُ خُطاكم .

o و(**الأصالةُ**) تشكرُ أَخاها الفاضلَ (ر . ح) على رسالتِهِ المُفيدةِ ، ونصائحِهِ الطيّبةِ ، وتنبيهاتِه اللطيفةِ ، وتدعو اللّهَ أن يجزيَ الجميعَ خيراً ، وأن يُرَشِّدَ أفكارَنا ، ويُسَدِّدَ أقلامَنا ، ويُثَبِّتُ قلوبَنا وأَقدامَنا على الحقِّ .

ولا بدَّ لنا من الإشارةِ إلى شيءٍ من وُجهةِ نظرنا حولَ هذهِ المُلاحظاتِ :

١ - حولَ كلمةِ (شهداءِ) و (شهيد) ، فقد كَتَبَت (**الأصالة**) في تقديمها لمقالِ الأُختِ أُمّ محمد (ص ٤٠) بعدَ كلمةِ (شهداءِ) : (**نحسَبه كذلكَ ، والله حسيبه ، ولا نزكّي على اللّهِ أحداً**) وهذا هو أوّلُ موضعٍ تُذكرُ فيه هذهِ الكلمةُ ، فما بعدَها ممّا هو مثلُها تابعٌ لها ، وقد وَرَدَ في كلامِ الأُختِ نفسِها شيءٌ يُوضحُ ذلكَ .

وإطلاقُ لفظِ الشهادةِ في مثلِ هذا المقامِ - **وبهذا القيدِ** - هو من بابِ حسنِ الظنِّ باللّهِ سبحانَه .

٢ - أمّا قولُه : « رُفعت الأقلامُ وجفّت الصحفُ » ؛ فالّذي فهمناه ونفهمُه أنّه إشارةٌ إلى العزمِ والتصميمِ ، وإن كانَ استعمالُ غيرِهِ من الألفاظِ أولى بعد هذا التنبيه المُبارك .

٣ - أمّا قولُه : « وسترين أنَّ في استشهادي - إن شاءَ اللّهُ شفاءَ محمد » فهو - حقّاً - بحاجةٍ إلى مُراجعةٍ ونظرٍ ووقوفٍ ، وإن كانَ في تَقْييدِهِ بالمشيئةِ ما يُخَفِّفُ الأَمرَ ، وهو - منه رحمه اللّهُ - من بابِ حُسنِ الظنِّ بربِّهِ .

٤ – أمّا قولُ بعضِ الشبابِ : « من سيجهزُ المُجاهدينَ بعدَكَ يا حَمَد !؟ » إذ هو – رحمه اللّهُ – من النُدرةِ المُهتمينَ بالجهادِ تَجهيزاً وتَحريضاً خُصوصاً في أهلِ بلدِهِ ، والظاهرُ – واللّه أعلمُ – الإشارةُ إلى صنائعِهِ الخيِّرةِ في حياتِهِ ، وهذا – بالتالي – لا يلزمُ منه نفيُ ذلكَ عمّن سواه .

٥ – ومثلُه – بعدَه – قولُ والدتِها عنه ، وقد سبقَ نقلُه .

٦ – أمّا قولُه لأُمّه : « سأراكَ يا أُمي في الجنّةِ ... » فهو من بابِ حُسنِ الظنِّ باللّهِ ، والتفاؤلِ بنيلِ درجةِ الشهادةِ ، وإن كانَ عليه مُلاحظةٌ ما فهي عدمُ تقييدِهِ بالمشيئةِ أو نحو ذلكَ .

٧ – وأمّا تنبيه الأخِ الفاضلِ (ر . ح) حولَ فَرضيّةِ الجهادِ ، وما أعقَبَه من تعليقِ الأخِ حَمَد – رحمه اللّهُ – ؛ فهو جيّدٌ قويٌّ ، على أنَّ مثلَ هذهِ المسألةِ مَعدودةٌ ضِمْنَ مسائلِ الاجتهادِ الَّتي يَسَعُ فيها الخلافُ فجزاه اللّهُ خيراً .

ونحنُ في (الأصالة) مَعَ التأنّي التامّ ، والضوابطِ الشرعيّةِ ، والتأصيلِ العلميّ ، مُستنيرينَ بكلامِ عُلمائنا ، مُهتدينَ بِهديهم ، في ضوءِ الكتابِ والسنةِ وما عليه سَلَفُ الأمةِ .

واللّهُ الهادي إلى سواءِ السبيلِ .

وصيةُ رسول اللّه ﷺ في طُلَّابِ العلم

التحرير

طُلَّابُ العلمِ غِراسٌ في رياضِ العُلماءِ ، فينبغي على أهلِ العلمِ أن يستوصوا بهم خيراً ، وينظروا إليهم بعينِ المحبةِ ، ويُحيطوهم بالحرصِ والرعايةِ حتّى يَستقيمَ عُودُهم ، ولا تَميلَ قناتُهم .

ولأهميةِ ذلكَ في حياةِ المسلمينَ فقد أوصى رسولُ اللّهِ ﷺ بطلابِ العلمِ خيراً ، فعن أبي سعيدِ الخدريِّ أنَّه قالَ : « مرحباً بوصيةِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ يوصينا بكم ، يعني طلبةَ الحديثِ »[1]

ولذلكَ مَنْ كانَ من العُلماءِ موطَّأَ الأكنافِ ، سمح الأوصافِ ، وَرَدَه طلبةُ العلمِ ، وأفادوا منه ؛ يدلُّكَ على ذلكَ قولُ اللّهِ تعالى تنبيهاً لعبدِهِ ورسولِهِ ﷺ : ﴿ فبِما رحمةٍ من اللّهِ لنتَ لهم وَلَوْ كنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولِكَ فاعْفُ عنهم ، واستغفر لهم وَشاورهم في الأَمْرِ ﴾ .

(١) صحيح كما بيّنه شيخُنا في « الصحيحة » (٢٨٠)

فإذا كانَ ربُّ البريّةِ يُوصي رسولَه ﷺ بأصحابِهِ خيراً ، ورسولُ اللّهِ ﷺ يُوصي أصحابَه بطلابِ العلمِ خيراً لذلكَ ، فطلابُ العلمِ في حاجةٍ إلى كَنَفِ عالمٍ رَحيمٍ ، وإلى رعايةٍ فائقةٍ ، وإلى بشاشةٍ سمحةٍ ، وإلى وُدٍّ يسعهم ، وحلمٍ لا يَضيقُ بجهلِهم وضعفِهم ونقصِهم .

إنَّهم بحاجةٍ إلى قلبٍ كبيرٍ يُعطيهم ، ولا يَحتاجُ منهم إلى عطاءٍ ، ويحملُ همومَهم ولا يُغَذّيهم بهمّهِ ، ويَجدونَ عندَه الرعايةَ والعطفَ والهُدوءَ واللُّطفَ .

وهكذا ؛ فلا يَكادُ المرءُ يسمعُ شيئاً من هذهِ الوصايا بطلابِ العلمِ ، ويرى الرعايةَ لهم من أهلِ العلمِ إلّا اندفعَ تلقائيّاً ليكونَ أحدَ الأطرافِ لحياةٍ علميّةٍ شامخةٍ .

واللّهُ الموعد .

لتكونوا عوناً لنا على نشر العلم النافع ، وتعميم الفائدة بين المسلمين ؛ سيراً على نهج سلفِ الأمّة الصالحين، وطرائقهم الخيّرة في الدعوة والتربية.

ولأنَّ كُلّاً منّا - نحن المسلمين - على ثغرة، فإنّنا نعرضُ عليكم باباً من أبواب البرّ تفتحونه لأنفسكم؛ ينفعكم - بمنّة اللّه - في أُخراكم، وذلك من خلال تَبنّيكُم مجموعةَ أعداد من رسالتكم (**الأصـالـة**) ، ومن ثمّ توزيعها على طُلّاب العلم والحريصين على التعلُّم .

وعليه؛ فإنّنا نرجو منكم - إن رغبتم - تحديدَ ما يلي :

أولاً : الكميّة التي ترغبون بتوزيعها :

١ - (٥٠) نسخة .   ٢ - (١٠٠) نسخة .   ٣ - (٢٠٠) نسخة .

٤ - (٥٠٠) نسخة .   ٥ - (١٠٠٠) نسخة .   ٦ - (   ) نسخة .

ثانياً : الجهة التي ترغبون أن توزع فيها :

١ - البلاد الإسلاميّة الفقيرة .

٢ - تقدمةٌ للمراكز الإسلاميّة والمجلات الأخرى والشيوخ .

٣ - المساجد .   ٤ - طلبة العلم الفقراء .

ثالثاً : الاشتراك الذي ترغبونه :

١ - نصف سنوي .   ٢ - سنوي .   ٣ - أعداد معيّنة .

رابعاً : طريقة التوزيع التي ترغبونها :

١ - أن نُسَلّمها لطرفكم، أو لجهةٍ معيّنة أنتم تُحَدّدونها .

٢ - أن نقومَ نحن بتوزيعها .

خامساً : يُرفق شيك بالقيمة الإجمالية ، على وَفق المطلوب ، باسم رئيس التحرير .